الباب الثانى
العمائر الدينية

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

أشرت فى التطور العمرانى للأحياء الثلاثة إلى المنشآت المعمارية الدينية التى كانت مشيدة داخل كل حى طيلة الفترة الزمنية موضوع البحث، وهذه المنشآت درس بعضها، ولازال البعض الآخر منها قائماً.

ومن العمائر الدينية الدارسة: المدرسة الشريفة التى شيدت سنة (٦١٢هـ/ ١٢١٥م)، ودرست معالمها تماماً بعد التجديد وإعادة البناء الذى تم قبل سنة (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م) على يد الشيخ على بن العربى، وفى (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) أعيد بناءها على يد التاجر أحمد بن عبد السلام المغربى، والمعروفة خطأ فى عصرنا الحالى بجامع بن العربى، فى حين أن البناء من إنشاء أحمد بن عبد السلام المغربى داخل الجوذرية.

كذلك درست معالم المدرسة التى شيدتها الست أيدكين زوجة الأمير سيف الدين يكجا الناصرى (٧٥٢هـ/ ١٣٥٠م) بشارع بين العواميد (بيبرس حالياً)، والتى عرفت بالمندرسة الصغيرة فى ذلك العصر. ربما لصغر مساحتها، ولم يرد على هذه المدرسة (على حد علمى) معلومات أخرى داخل المصادر التاريخية، كما أن دور الوثائق المصرية لم تشتمل على وثيقة وقفها مما أدى إلى ضياع معالمها البنائية، والوصفية التى كانت تتضمنها وثيقة وقفها .

وتبقى من العمائر الدينية داخل الجوذرية مدرسة السلطان الغورى (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)، والتى شيدت فى الحد الشرقى من الجوذرية على مساحة سوق الشرابشيين، وهذه المدرسة والقبة المواجهة لها قد تم دراستهما من قبل الباحث "محمد فهيم" فى رسالته للماجستير.

كذلك تبقى داخل الجوذرية منشأة معمارية على قدر كبير من الأهمية تعود لنهاية العصر المملوكى الجركسى، شيدها الأمير بيبرس الخياط (٩٢١هـ/ ١٥١٥م) برسم مدرسة، وقد فقد منها بعض الأجزاء المعمارية، التى احتفظت بها وثيقة الوقف مما أفاد فى إعادة تصور هذه الأجزاء، وكذلك التاريخ الحقيقى لها، وكذلك توضيح مراحل تطور العناصر المعمارية التى اشتملت عليها فى نهاية هذا العصر، خاصة أن هذه المدرسة لم تتم دراستها من قبل الباحثين.

كما تبقى أيضاً داخل الجوذرية الجامع المعروف خطأ بابن العربى والسابق الإشارة إليه والمشيد فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى، وكذلك فإن دراسته تكشف عن الخطأ الذى وقع فيه بعض الباحثين المحدثين والخاص بصاحبه، وتاريخ تشييده.

أما حى المسطاح فقد اشتمل على العديد من المنشآت الدينية درست معظمها وتبقى بعضها، ومن العمائر الدارسة: المدرسة السيفية المشيدة قبل سنة (٥٩٣هـ/ ١١٩٦م) داخل درب الحريرى "عطفة الصاوى حالياً"، والمدرسة الصاحبية المنسوبة إلى الوزير العادل الأيوبى صفى الدين بن على بن شكر، والتى خصصت لتدريس الفقه المالكى والتى ظلت باقية حتى القرن (١١هـ/ ١٧م)، بعدها اضمحل حالها وشيد فوق مساحتها زاوية لا زالت باقية تعرف بالست "بيرم" لم يحدد على مبارك تاريخ تشييدها.

أما العمائر الدينية الباقية والتى لم تدرس من قبل بقايا مدرسة حسام الدين طرنطاى المنصورى الذى شيدها داخل درب الحريرى سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٠م). وألحق بها قبة ضريحية لازالت باقية.

كما تبقى مدرسة تعرف بالأمير "مقبل الداودى" شيدها سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م) فى الحد الشمالى لهذا الحى جدد تخطيطها، ولم يزل مدخلها ووثيقة وقفها المنقوشة على الحجر أعلى المدخل باقين وكذلك بعض زخارفها.

كما شيد فى منتصف القرن التاسع الهجرى (٨٥٠هـ/ ١٤٤٩م) الجمالى يوسف مدرسته داخل هذا الحى قام بدراستها أ.د / عادل شريف ضمن رسالته للماجستير.

أما حى المحمودية فقد شيد على رأسه جامع المؤيد شيخ المحمودى (٨١٨-٨٢٣هـ/ ١٤١٥-١٤٢٠م) محل خزانة شمائل ودرب الصغيراء، وقد قام بدراسته د/ فهمى عبد العليم فى رسالته للماجستير، ولم أقف على منشآت أخرى دينية شيدت داخل هذا الحى.

وعلى ذلك فإن الآثارالمعمارية الدينية الواجب دراستها داخل هذا الباب مرتبة ترتيباً تاريخياً:

١) مدرسة حسام الدين طرنطاى (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م).

٢) مدرسة مقبل الداودى (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م).

٣)مدرسة الأمير بيبرس الخياط (٩٢١هـ/ ١٥١٥م).

٤) جامع ابن العربى (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).

وذلك فى الفصول الأربعة التالية:

الفصل الأول

مدرسة حسام الدين طرنطاى

أثر ٥٩٠

obeikandl.com

obeikandl.com

ترجمة المنشئ:

هو الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى، وقيل: طرقطاى المنصورى[١] رباه الملك المنصور قلاوون صغيراً، ورقاه فى خدمه إلى أن تقلد سلطنة مصر فعينه نائباً له فى السلطنة[٢] عوضاً عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى، وذلك فى رابع عشر رمضان سنة (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م)[٣].

وقد باشر مهام وظيفته مباشرة حسنة، فقد كان عظيم التنفيذ سديد الرأى مفرط الذكاء غزير العقل، له مهابة فى القلوب، بحكم مكانته فى الدولة.

وظيفته:

تقلد الأمير حسام الدين طرنطاى منصب نائب السلطنة المملوكية فى دولة المنصور قلاوون، وإبنه الأشرف خليل، وهذا المنصب الهام الذى شغله قد مكنه من المشاركة فى أحداث عصره، والتى كان يكلفه بها أستاذه المنصور قلاوون، والتى بسببها حقق تلك المهابة فى قلوب أمراء السلطان وعامة الناس، بجانب تحقيقه لثروة هائلة، ومن الأحداث التى شارك فيها الأمير طرنطاى: خروجه إلى الكرك[٤]، وإخضاعها للسلطنة وإحضار إبنى السلطان بيبرس الملك المسعود نجم الدين خضر، وأخوه بدر الدين سلامش للقاهرة بعد خروجهما على السلطنة، وقد قام بهذا العمل فى سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، حيث خرج من القاهرة بالعساكر إلى الكرك، وانضم إليه فى الطريق ألفا فارس صحبة الأمير بدر الدين الصوابى. حيث نازلا الكرك وقطعا الميرة[٥] عنها، حتى تم التسليم، وأخذا إبنى السلطان وعين نواب جدد للسلطان على هذا الحصن.

---

(١) ابن كثير (الحافظ بن كثير الدمشقى ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية، الطبعة السادسة، بيروت (١٩٨٥م/ ١٤٠٦هـ)، جـ١٣، ص٣١٨.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٣٨٣-٣٨٥.

(٣) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٨٦.

(٤) ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم): تاريخ ابن الفرات ٨مجلدات (٦٨٣-٦٩٦هـ) تحقيق قسطنطين رزيق؛ د/ نجلاء عز الدين، بيروت ١٩٣٩، م٨، ص٣٥، ٣٦.

(٥) ابن الوردى (زين الدين عمر ت٧٥٠هـ): تاريخ ابن الوردى المعروف بالمختصر فى أخبار البشر، جـ٢، ص٢٢٣، طبع سنة ١٨٦٨م.

كذلك فإنه خرج لفتح صهيون[1]، تلك القلعة التى توجه إليها طرنطاى فى سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)[2]، وقيل: سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م)[3]، وذلك بعد أن ظل نائب السلطنة بها منذ سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، وحتى سنة قدوم طرنطاى للقلعة مستقلاً بها على أنه سلطان، حيث جلس بالفعل بدمشق وحلف له الأمراء، وتلقب بالملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر[4]، وهذه الفترة الطويلة التى ظل خلالها سنقر الأشقر مستقلاً عن السلطنة المملوكية فى القاهرة، لم تشكل خطورة على موقف السلطنة، ولكن بعد أن ظهرت قوة شكيمة طرنطاى، بعث به قلاوون للقضاء على هذا الأمير، وإحضاره إلى القاهرة.

وبالفعل تمكن طرنطاى من إخضاع القلعة، ونزل سنقر الأشقر منها وسلم القلعة فى ربيع الأول سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، وصحب سنقر الأشقر طرنطاى إلى القاهرة، حيث التقى بهم السلطان وأمن سنقر الأشقر كما وعد، وظل سنقر الأشقر مكرماً محترماً مع السلطان إلى أن توفى السلطان[5]. كذلك فإن الأمير طرنطاى قد شارك أستاذه المنصور قلاوون فى رد جموح التتار، حيث استطاع ومن معه من أعيان الأمراء أن يتقدموا إلى التتار وأن يقتلوا منهم جموعاً كبيرة، فانتصروا عليهم أعظم انتصار[6] أثناء لقاءهم بهم بالبلاد الشامية.

كذلك استعان المنصور قلاوون بالأمير طرنطاى فى تأديب بعض الخارجين بصعيد مصر حيث خرج فى سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) إلى بلاد الصعيد وبالتحديد إلى إحدى قرى محافظة قنا (طوخ البلاص) الواقعة على الشط الغربى للنيل بين البلاص، ونقادة تجاه قوص، حيث قام بتأديب بعض العربان، وقتل منهم عدداً كبيراً وحرق كثيراً منهم بالنار، وأخذ خيولاً كثيرة وسلاحاً ورهائن من أكابرهم، وعاد بمائة ألف رأس من الغنم وألف ومائتى فرس وألف جمل

---

(١) حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام، وهى قلعة حصينة مكينة فى طرف جبل خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة ليس لها خندق محفور إلا من جهة واحدة، وقد دخلت هذه القلعة فى عام ١٢٧٢م فى حوزة المماليك البحرية أثناء حكم الظاهر بيبرس. انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٥، ص٤٠٢، ٤٠٣.

(٢) أبو الفداء اسماعيل: المختصر فى أخبار البشر، القاهرة (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م)، مجلد ٤، ص٢٣.

(٣) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، ق٣، ص٧٣٤؛ ابن الوردى: المختصر فى أخبار البشر، جـ٢، ص٢٣٣.

(٤) أبو الفداء: المصدر نفسه، م٤، ص١٣، ١٤.

(٥) ولمزيد من التفاصيل أنظر: المقريزى: المصدر نفسه، جـ١، ق٣، ص٧٣٥.

(٦) المقريزى: المصدر نفسه، جـ١، ق٣، ص٦٩٢- ٦٩٥.

وسلاح لا يحصى[1]، وانتهى من ذلك فى نفس شهر المحرم الذى خرج فيه من السنة نفسها.

ومن خلال هذا النص ومن الأحداث السابقة يتبين أن الأمير طرنطاى لا يتوانى عن تنفيذ أوامر السلطان، وهذه الميزة قد ساعدت على وجود علاقة طيبة بين السلطان وبين الأمير، ساعدت على إضفاء رهبة وقوة لشخصية هذا الأمير مما كان له أكبر الأثر فى علاقاته بأمراء عصره وخشيتهم له، كما تشير إلى أنه المتصرف فى أمور المملكة؛ إذ أنه اتسم بسداد الرأى، وفرط الذكاء، ورجاحة العقل[2]، وهذا وصل به إلى هذه المكانة السامية فى دولة المنصور قلاوون.

فلما توفى السلطان، وانتهت السلطنة إلى الأشرف خليل بن قلاوون والذى كان بينه وبين طرنطاى تنافر وعدم استلطاف، وذلك منذ كان ولياً للعهد فسعى بعد سلطنته إلى القبض عليه والإطاحة به، وكان من أسباب هذا البغض الذى كان بينهما هو إهمال طرنطاى لخليل وتفضيل أخاه "علاء الدين على" عليه، كما كان يهين نوابه ويؤذى من يخدمه، فلما مات الصالح على وانتقلت ولاية العهد إلى الأشرف خليل بن قلاوون إزداد إعراضاً عنه[3]، وذلك ربما لغرض فى نفس طرنطاى، إذ ربما تصور أنه كان من السلاطين المنتظرين بعد المنصور قلاوون، وكان فى استطاعة طرنطاى الإطاحة بالأشرف خليل بعد أن حرضه الأمراء عليه لكن طرنطاى رفض ذلك[4]. ونتيجة للعداوة التى كانت بين خليل وطرنطاى، فقد عزم الأشرف خليل على استدعاء[5] الأمير طرنطاى إلى مقر السلطنة بالقلعة لأمر ما وقبل الدخول إليه حذره "زين الدين كتبغا" من الأشرف خليل، وقال له يجب أن تدخل فى صحبة المماليك لكنه اغتر، وقال له: "والله لو كنت نائماً لما جرأ خليل أن يوقظنى"[6] ودخل إليه، وهنالك بادر جماعة من خاصة السلطان بالهجوم عليه وألقوا القبض عليه وأمطروه ضرباً وتحقيراً، حتى أن بعض الخاصكية اقتلع عينه وسحب إلى السجن، ثم عوقب حتى مات يوم الاثنين خامس عشر

---

(١) المقريزى: المصدر السابق، جـ١، ق٣، ص٧٥١.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٣٨٣، ٣٨٤.

(٣) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٨٦.

(٤) على إبراهيم حسن: تاريخ المماليك البحرية، النهضة المصرية، ط٣، ١٩٦٧م،ص٦٢.

(٥) ابن الوردى: المختصر فى أخبار البشر، جـ٢، ص٢٣٥؛ وأبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر، المجلد٤، ص٢٥؛ وابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م٨، ص١٠٠.

(٦) ابن الفرات: المصدر السابق، ص١٠٠.

ذى القعدة سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)، وظل ما يقرب من ثمانية أيام بعد قتله ملقى بحبس القلعة، ثم أخرج فى ليلة الجمعة سادس عشر ذى القعدة، وقد لف فى حصير وحمل إلى زاوية الشيخ إلى أبى السعود بالقرافة، حيث دفن خارج الزاوية، ولما ولى كتبغا السلطنة نقله إلى قبته التى أنشأها بمدرسته بخط المسطاح، وقد قتل ولم يبلغ من العمر خمسين عاماً[١].

وقد أوقع السلطان الأشرف خليل الحوطة على أملاك وأموال الأمير طرنطاى بعد وفاته.

وقد أطنب المؤرخون فى ذكر ثروة هذا الأمير، حيث بلغت جملة ثروته التى وجدت فى خزانة داره ستمائة ألف دينار ذهباً[٢]، ومائة وسبعين قنطاراً من الدراهم الفضة، بالإضافة إلى الغلال والخيول والبغال والجمال والآلات والأملاك، والتى كانت جملة كبيرة، بالإضافة إلى العدد والنحاس المكفت والمطعم والزردخانة والسروج واللجم وقماش الركاب خاناه والطشتخانة والفراشخاناه والحوائص، هذه الأمتعة لم توجد عند غيره من الأمراء والملوك[٣]. ويبدو أنه جمع كل هذه الثروة والمتاع كى تؤهله لتقلد أمور السلطنة لكنه لم ينل ما تمناه[٤].

وقد استولى الأشرف خليل على كل هذه الثروة، وقام بتوزيعها على الأمراء والمماليك فى فترة وجيزة.

وقد ترك الأمر طرنطاى من بعده ولدين أحدهما أعمى، وهذين الولدين لم يجدا ما يقتاتا به بعدما صادر الخليل أموال أبيهم وأملاكه، فدخل أحدهما على الأشرف خليل إلى دست السلطنة واضعاً المنديل على وجهه يطلب شيء لله، ذاكراً له أن لهم أياماً لا يجدون شيئاً يأكلونه فرق لهم، وأطلق لهم الأملاك يأكلون من ريعها[٥].

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٣٨٥؛ والمقريزى: السلوك، جـ١، ق٣، ص٧٥٧.

(٢) أكد ابن كثير العدد الذى ذكره المقريزى للذهب، فى حين اختلف معه فى عدد الدراهم التى وجدت بخزانة طرنطاى، فبينما يذكر المقريزى أنها كانت مائة وسبعين قنطراً يذكر ابن كثير أنها سبعين فقط، فى حين أن ابن تغرى بردى يذكر أن قيمة الذهب كانت قد بلغت ألفى ألف دينار وأربعمائة ألف= ٢,٤٠٠٠٠٠ (٢ مليون و ٤٠٠ ألف) دينار. انظر: ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٣١٨؛ والمقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٨٧؛ وابن الفرات: تاريخ بن الفرات، م٨،ص١٠١؛ وابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٣٨٥.

(٣) ابن الفرات: المصدر السابق، ص١٠١.

(٤) ابن الفرات: المصدر نفسه، ص١٠١.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٣١٨.

الموقع وتاريخ البناء:

تبقى من المدرسة الحسامية القبة الضريحية، وجزء من إيوان القبلة يلاصق القبة من جهتها الجنوبية الغربية، وهذه الأجزاء الباقية تشير إلى مدى الثراء المعمارى والزخرفى الذى كانت عليه هذه المدرسة، وقد شيد الأمير حسام الدين طرنطاى –المدرسة والقبة– بجوار منزله بخط المسطاح، والموجودة بقاياه الآن داخل العطفة المعروفة بعطفة الصاوى[1]، تلك العطفة التى يتوصل منها الآن من خلال بوابة حديدية إلى شارع بيبرس، وهذا الموقع الذى شيدت عليه المدرسة كان يواجه سوق الرقيق على عصر المقريزى، والذى سيأتى الحديث عنه.

ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشاء المدرسة، واكتفى بذكر المنشئ فقط. حيث ذكر "أنها من إنشاء حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة بديار مصر شيدها بجوار داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية "[2].

ومن هذا النص نفهم أن حسام الدين طرنطاى قد شيد مدرسته وقبته بعد تقلده منصب نائب السلطنة المملوكية سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، ويشير فهرس الآثار الإسلامية إلى التاريخ الذى تم فيه تشييد هذه المدرسة والقبة وهو (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)[3]. وهو التاريخ الذى توفى فيه مشيد هذه المدرسة. غير أن كريزول أشار إلى تاريخ إنشاء المدرسة من خلال نص أورده بما نصه: "هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى الأمير حسام الدين طرنطاى الملكى المنصورى. توفى يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ذى القعدة من سنة تسعة وثمانين وستمائة"[4].

والذى ورد على تابوت وجد داخل هذه القبة، والذى نقل بعد ذلك إلى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة.

وهذا التاريخ الوارد ضمن النص يخالف التاريخ الذى أوردته المصادر التاريخية[5]، والتى ذكرت أنه توفى يوم الاثنين خامس عشر ذى القعدة سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م). فى هذه الحالة يكون النقش التاريخى الذى أثبت على تابوت الأمير طرنطاى بقبته أصدق من تلك المصادر؛

---

(١) على مبارك: الخطط، جـ٦، ص١٣.

(٢) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٨٦.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٣٨٤، حاشية (١).

(4) Creswell, (K.A.C), The Muslim Architecture Of Egypt, Vol II, P, 219.

(٥) ابن تغرى بردى: المصدر السابق، جـ٧، ص٣٨٥، والمقريزى: السلوك، جـ١، ق٣، ص٧٥٧.

حيث أنه يعد من المصادر المعاصرة. بعدما صادر الملك الأشرف خليل أمواله وأملاكه وتم دفنه بجوار زاوية أبو السعود، ظل هذا القبر والتابوت دون تغيير يذكر إلى أن تم نقل جثمانه إلى قبته بعد تولى زين الدين كتبغا أمر السلطنة المملوكية.

وهذا التاريخ الوارد ضمن النقش قد اعتمد عليه كريزول فى تأريخ القبة وإرجاعها إلى ما قبل ذلك[١]. غير أن محمد رمزى الذى حقق كتاب "النجوم الزاهرة" قد ذكر أن هذه القبة والمدرسة تعودان إلى سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)[٢] وهذا التاريخ الوارد أقرب إلى الصحة إذ أن التواريخ الواردة ضمن المصارد التاريخية أو النقش المذكور تشير إلى تاريخ وفاة الأمير فقط. وأن تاريخ البناء المذكور أو الانتهاء من البناء الذى أورده محمد رمزى يعززه عدة دلائل: منها: أن هذا التاريخ (المشيدة فيه المدرسة والقبة) أتى بعد تولى هذا الأمير منصب نائب السلطنة بست سنوات، وهى فترة كبيرة تمكن خلالها من تحقيق ثروة كبيرة أشرت إليها سلفاً مما ساعده على تشييد مدرسته وقبته بجانب منزله.

ثانياً: شهدت السنوات التالية لعام (٦٨٤هـ) خروج الأمير طرنطاى فى حملات مكوكية لتأديب الخارجين على السلطنة المملوكية، فضلاً عن مواجهته خطر التتار مع أستاذه قلاوون حتى تاريخ وفاته، مما يشير إلى عدم استقراره فترات طويلة داخل القاهرة بعد هذه السنة.

ثالثاً: هناك نص ذكره (wiet)[٣]يشير إلى أمر طرنطاى بتشييد مأذنة فى عام (٦٨٦هـ) مما يشير إلى أن بناء المدرسة يسبق إنشاء المئذنة مما يرجح التاريخ الذى أورده محمد رمزى.

ومما شبق يمكن القول: إن بناء هذه المدرسة والقبة قد تم فى نفس فترة تشييد مجموعة السلطان قلاوون، والتى تم بناؤها فى فترة وجيزة، ابتاءاً من ربيع الآخر سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٣م)، وانتهى البناء فى جمادى الأول سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٤م)، أى أن البناء استغرق أربعة عشر شهراً[٤].

---

(1) Creswell, Ibid, P.219.

(٢) ابن تغرى بردى: المصدر نفسه، جـ١٠، ص١٤٥، حاشية (٤).

(٣) " أمر بعمارة هذه المئذنة المقر الأشرف الحسامى طرنطاى الملكى المنصورى نائب السلطنة بتولى العبد الفقير إلى الله لؤلؤ المسعودى الحسامى فى شهور سنة ستة وثمانين وستمائة ". انظر:
Wiet(G), Catalogue jeneral Du Musee Du Caire (Objects en Cuivre} le Caire,1932,P,92.

(٤) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جـ١، القاهرة، ١٩٤٦، ص١١٥.

وهذه السرعة فى تشييد هذه المجموعة المعمارية الخاصة بالسلطان قلاوون ونائب سلطنته حسام الدين طرنطاى قد ساعد عليها الأخطار التى واجهت مصر من قبل التتار، هذا الخطر الذى واجهه قلاوون وطرنطاى بشجاعة وانتصر عليهم فى حمص[١].

وإذا كان تاريخ بناء مدرسة وقبة طرنطاى قد تم متزامناً مع بناء مجموعة قلاوون، فإن تاريخ وفاة طرنطاى قد تزامن مع تاريخ وفاة أستاذه قلاوون فى عام واحد؛ حيث توفى كلاهما فى شهر ذى القعدة من سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)، فقد توفى قلاوون يوم السادس من ذى القعدة[٢]، وتوفى طرنطاى يوم الرابع والعشرين من نفس الشهر.

حدود البناء وماهيته المعمارية

هذا، وقد شيد الأمير طرنطاى مجموعته المعمارية لتكون مدرسة لتدريس الفقه الشافعى[٣]، وقبة ضريحية تلاصق المدرسة، وتفتح على إيوانها الجنوبى الشرقى، وتطل على الطريق بمدخل آخر فى الجهة الجنوبية الغربية، تخصص لدفنه ، وأفراد أسرته (أنظر ش٢٠، ٢٢).

وقد اندثر جزء كبير من المدرسة، حيث شيد فوق هذا الجزء الدارس مسجد عرف بمسجد أبى الفضل[٤] استمر هذا المسجد يشغل هذه المساحة من المدرسة حتى تم هدمه، وإعادة بناؤه فى وقتنا الحاضر، وفقاً للأسلوب الحديث فى البناء، ومن المحتمل أن يكون هذا المسجد قد شيد فوق مساحة الصحن وأحد إيوانات المدرسة، والتى أرجح أنها كانت مدرسة من إيوانين فقط، وذلك استنتاجاً من بقايا الحوائط الأثرية الباقية من المدرسة. لوحة (١، ٢، ٣، ٤).

وقد شيد جامع أبى الفضل فى فترة لاحقة لتشييد المدرسة – ربما فى العصر- العثمانى، حيث كانت المدرسة فى حالة سيئة مما دعا إلى استغلال هذا الجزء منها فى بناء مسجد دون المساس بالقبة الضريحية، وجزء من الإيوان الجنوبى الشرقى قطعة حائط المسجد المشار إليه والذى استغل على ما يبدو كبيت للصلاة بهذا المسجد الجديد، وقد تعرض جامع أبى الفضل لإجراء بعض التجديدات به فى القرن الـ (١٨م)، وبالتحديد فى سنة (١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م)

---

(١) المرجع نفسه: ص١١٤.

(٢) المرجع نفسه: ص١١٤.

(٣) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٨٦.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ، جـ٧، ص٣٨٤، حاشية (١) Creswell, Op. Cit. P, 218.

على يد الأمير عثمان جاويش تابع المرحوم حسن كتخدا القاذد غلى[1] مما يؤكد أثرية هذا المسجد الذى شيد على أرض المدرسة الحسامية ، نتيجة لارتفاع منسوب المياه الجوفية فى هذه المنطقة، فقد آل أمر مسجد أبى الفضل إلى الهدم وإعادة بناؤه، وبالتالى ضاعت الكتابات الأثرية التى تفيد فى بيان التاريخ الذى جدد فيه هذا المسجد.

ويفهم من بعض الأوراق الواردة بملف الأثر أن محراب مسجد أبى الفضل – الذى هدم – غير أثرى، مما يتضح معه، مدى تأثير المياه الجوفيه على عمائر هذه المنطقة، والذى عرضت بعض أجزاءها إلى الهدم وإعادة البناء[2].

ومما سبق، يمكننى القول: أن الجزء المتبقى من العمارة التى أجراها حسام الدين طرنطاى داخل هذا الخط – المسطاح- عبارة عن الإيوان الجنوبى الشرقى وبه محراب – المدرسة – وإحدى الخزانات الحائطية التى تقع على يسار المحراب بالجهة الشمالية الشرقية، ويبدو أن واحدة أخرى من هذه الخزانات كانت توجد فى الجهة اليمنى – جنوب غرب المحراب – والتى قطعها الحائط الخاص بجامع أبى الفضل.

وبهذا الإيوان، وبالتحديد فى الجهة الشمالية الشرقية منه يوجد أحد مداخل القبة الضريحية، والتى كان يدخل إليها من هذا الباب بجانب أبواب أخرى فى الجهة الجنوبية الغربية، والجهة الجنوبية الشرقية وهى مداخل محورية فى ثلاث جهات من القبة ، والجهة الرابعة فتح بها المحراب. وهذه المداخل جميعها انخفضت انخفاضاً ملحوظاً عن مستوى أرضية الشارع نتيجة نحر المياه الجوفية فى أرضية المدرسة والقبة.

ويلاصق الإيوان الجنوبى الشرقى القبة الضريحية، والتى تطل بواجهتها الرئيسية على العطفة المعروفة بالصاوى، والتى يتوسطها أحد المداخل المشار إليها.

أما الجهة الجنوبية للقبة فيتوسطها أحد المداخل المشار إليها، وفى الركن الجنوبى الغربى منها يوجد بقايا حائط ربما كان يشكل امتداده تحديد مساحة الصحن الخاص بهذه المدرسة، ويتقدم هذه القبة الضريحية مساحة فضاء بالجهة الجنوبية الغربية، منها حائط يطل على عطفة الصاوى فتح به نافذة مستطيلة (لوحة٥)، ويبدو أن هذا الجزء قد شيد لعزل القبة الضريحية

---

(١) وهذا النص وجده الأستاذ محمد رمزى بازار السقف، وذكر ما يفيد قيام الأمير عثمان جاويش بتجديده، وقد ضاع هذا المسجد بأكمله الآن. انظر: ابن تغرى بردى: المصدر السابق، جـ١٠، ص١٤٥، حاشية(٤).

(٢) ملف الأثر، هيئة الآثار المصرية، رقم/٢٩٧/١٨٦/١/٤/١٩٥٤م.

عن بناء المسجد المستجد، وذلك بعمل ارتداد فى حائط القبة الجنوبى الغربىبمقدار (١,٥٠م) وبناؤه بشكل مواز للجدار الجنوبى الغربى الخاص بالصحن، مع سد ما بينهما بحائط به باب يؤدى إلى باب القبة الضريحية بالمساحة التى تتقدمها والتى فتح فى الحائط الشمالى الشرقى منها نافذة مستطيلة الشكل تطل على العطفة المذكورة، ومن المحتمل أن تكون هذه الحجرة –التى شيدت لتفصل القبة الضريحية عن بقية المسجد المقام على بقية مساحة المدرسة– عبارة عن مساحة فضاء تتقدم الضريح التى وجدت بقية أستاذه المنصور قلاوون.

وهذه البقايا المذكورة تشتمل على بعض الزخارف التى تنبأ عن الثراء المعمارى والزخرفى الذى كانت عليه هذه المدرسة، ويبدو أن مدخل هذه المدرسة قد كان يحتل الطرف الغربى من الواجهة الشمالية الشرقية، غير أنه اندثر مثلما اندثرت بقية أجزاء المدرسة.

الوصف والتحليل المعمارى والزخرفى

تشغل الأجزاء الباقية من المدرسة والقبة والحسامية مساحة قدرها (١٢,٩٠ × ١٠,٨٠) وهذه المساحة تشتمل على أجزاء من إيوان القبلة وجزء من الصحن، والقبة الضريحية.

١) إيوان القبلة

يلاصق إيوان القبلة الخاص بالمدرسة الحسامية القبة من جهتها الجنوبية الغربية، وهذا الإيوان بقطعه حائط أثرى، يعتقد أنه خاص بمسجد أبى الفضل، وهذا الحائط غير عمودى على حائط القبلة، حيث يجعل إتساع الإيوان ضيقاً من جهة الصحن، ويسير بحيث يكون أكثر اتساعاً كلما اقترب من حائط القبلة بحيث يبدأ اتساعه بـ (٣,٢٠، ٣,٥٠، ٣,٦٠) عند حائط القبلة.

ويبتعد الحائط الأصلى لهذا الإيوان عن حائط مسجد أبى الفضل بمقدار خمسة أمتار، بحيث يصبح اتساعه الأصلى ما يقرب من (٨,٥٠م).

ولهذا الإيوان حائط أصلى يتوسطه المحراب، وحائط شمالى خاص بالقبة، والحائط الخاص بمسجد أبى الفضل، وحائطه الأصلى الذى يبعد عن حائط أبى الفضل بمقدار خمسة أمتار[1].

(١) انظر المسقط الأفقى.

حائط القبلة

عرض هذا الحائط (٣,٥٠م) يتوسطه المحراب[١] الذى يبلغ اتساعه (١,٢٠م) يتوجه عقدان منكسران من الأجر كان يغطيهما زخارف جصية، وعلى جانب المحراب الشمالى الشرقى دخله حائطية، وكان يوجد ما يماثلهما بالجهة الجنوبية الغربية.

أما الحائط الشمالى الشرقى المشترك بين إيوان القبلة والقبة، فيتوسطه أحد الأبواب التى تفضى إلى القبة، وهذا الباب اتساعه (١,٣٠م) وارتفاعه (٢,٣٠م) معقود بعقد مستقيم، يعلوه نافذة مستطيلة. (لوحة٢).

ويثير هذا الحائط مسافة (٨,١٥م) يرتد بعدها مسافة (٢,٤٠م) لتكون بذلك صحن المدرسة. أما حائط مسجد أبى الفضل، والحائط الأصلى لإيوان القبلة فكلاهما غفل من الزخرفة وذلك نتيجة عوامل التعرية وسوء الحفظ.

ومن خلال حائط الإيوان الأصلى يمكن إعطاء تصور لإيوان القبلة والصحن من خلال ارتداد الحائط الشمالى الشرقى لإيوان القبلة، والذى أشرت إليه سابقاً، فعن طريق مد حائط الإيوان الأصلى بما يوازى ارتداد الحائط الشمالى الشرقى يتكون من ذلك الصحن بنفس اتساعه الذى كان عليه، والذى شغل الآن بمسجد حديث شيد بعد هدم مسجد أبى الفضل، والذى كان يبلغ اتساعه (١٣,٥٠م) تقريباً، حيث كان يفتح عليه إيوان القبلة بكامل اتساعه بواسطة عقد لازال جزء منه موجود بنهاية الحائط الشمالى الشرقى من جهة الصحن، وذلك بالأجر المغطى بالجص. (لوحة ١)، وقد زخرف الحائط الجنوبى الشرقى الذى يحدد الصحن، بارتداده عن حائط إيوان القبلة بحنية ذات عقد منكسر[٢] مغطاه بالزخارف المحفورة بالجص، وهى عبارة عن مراوح نخيلية تملأ العقد بأكمله، وكذلك تواشيحه وجوانبه، وكذلك زخرف الجزء المتبقى من الحائط الشمالى الشرقى الذى يكون بامتداده مساحة الصحن بنفس الزخارف الجصية السابقة، والتى تشير بقاياه إلى أنها كانت تشغل مساحة كبيرة على حوائط المدرسة والقبة. (لوحة ٣، ٤). وهذه البقايا المعمارية التى أشرت إليها والخاصة بالإيوان الرئيسي، وصحن المدرسة، تعطى إنطباعاً عن أن هذه المدرسة كانت تتكون من إيوانين رئيسيين يفتحان على الصحن مع بعض الملحقات، كما يمكننى القول: إن المدخل الرئيسي للمدرسة كان

---

(١) انظر لوحة: رقم٦.

(2) Creswell, Op. Cit. P,219.

يفضى إلى دركاه فتح بها بابان: أحدهما: يؤدى إلى مدخل منكسر يؤدى إلى صحن المدرسة، والآخر: يؤدى إلى الحجرة التى تتقدم الضريح، وهذه الأبواب كانت تفتح –على ما يبدو– فى الجهة الجنوبية الشرقية، أما الجهة الجنوبية الغربية فكانت تشتمل على باب آخر يؤدى إلى مرافق المدرسة، وهذا التصور أملته الشواهد الأثرية الباقية من الصحن والإيوان الرئيسى، بالإضافة إلى معرفة التخصص الذى كانت تقوم به، فضلاً عن إجراء مقارنة بين هذه المدرسة، ومدرسة المنصور قلاوون المعاصرة لها فى التاريخ.

ومما سبق يمكن القول: إن الشواهد الأثرية الباقية قد أفادت فى إعطاء تصور لشكل الصحن، أما النص التاريخى الخاص بتخصص المدرسة فى تدريس الفقه الشافعى، فقد أفاد فى ضرورة وجود خلوة داخل إيوان المدرسة خاصة بشيخ المذهب، مع ضرورة وجود حجرات للطلبة الدارسين، وهذه الحجرات وجد ما يشابههما بمدرسة المنصور قلاوون[1]، بالإضافة إلى ذلك فإن أداء الصلاة داخل هذه المدرسة، بالإضافة إلى إقامة الطلبة داخلها قد استدعى وجود بيوت خلاء، وفسقية للوضوء. وهذا التصور قد يختلف وضع الأجزاء المعمارية فيه عما كانت عليه فى الواقع، وذلك لعدم وجود ادلة تاريخية أو وثائقية تفيد فى إثبات هذا التصور، لكنه يعطى فكرة تقريبية عن الشكل العام الذى كانت عليه المدرسة مع القبة.

القبة من الخارج

تقوم القبة من الخارج على مساحة مربعة التخطيط طول ضلعها (٧,٩٠م)، ولهذه المساحة وجهتان: إحداهما: خارجية تطل على عطفة الصاوى، والأخرى: تطل على المساحة التى تتقدم القبة، أما مربع القبة الداخلى فطول ضلعه (٥,٧٠م)، أى أن سمك جدران القبة (١,١٠م).

الواجهة الجنوبية الغربية

هذه الواجهة تمتد بطول (٦,٦٠م)، يتوسطها تقريباً مدخل القبة، وهذا المدخل مطمور إلى أقل من منتصفه فى المياه الجوفية، وفتحة هذا المدخل عرضها (١,٣٠م)، وارتفاعها الآن (١,٣٠م).

يعلو هذا المدخل نافذة مستطيلة ارتفاعها (١,٨٠م)، وعرضها (١,٣٠م)، عليها مصبعات

---

(١) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، ص١٢١.

حديدية، ويتوج النافذة عقد مستقيم من الخشب.

ويبلغ ارتفاع هذه الواجهة (٣٠,٥م)، ليبدأ بعدها ارتفاع القبة من الخارج الذى يبلغ (٩٠,٧م)، فوق مستوى الواجهة، وعلى ذلك فإن ارتفاع الواجهة مع القبة يبلغ (٢٠,١٣م).

ويتوسط واجهة القبة التى تعلو الواجهة نافذة سداسية مركبة اتساعها (٥٠,٢م) وارتفاعها (٣٠,٢م)، وتبدأ هذه النافذة بثلاثة نوافذ ذات عقود منكسرة، ثم يليهم نافذتان، ثم نافذة بنفس العقود المذكورة.

وتبدو منطقة الانتقال من الخارج على هيئة درجتين، يتوسط الدرجة الثانية فى كل ركن نافذة ذات عقد منكسر، وهذه المنطقة يبلغ ارتفاعها (٩٠,٢م)، وارتفاع الدرجة الأولى (٩٠سم)، والثانية عن الأولى (٩٠سم)، وترتفع الثانية حتى نهاية هذه المنطقة بمقدار (١٠,١م) يلي هذه المنطقة القبة، والتى فتح بها فى المنطقة التى تلى منطقتى الانتقال ثمانية نوافذ ذات عقود منكسرة مثل النوافذ السابقة، وارتفاع منطقة الانتقال والقبة (٩٠,٧م)، وارتفاع الواجهة مكتملة (٢٠,١٣م).

ترتد الواجهة جهة الغرب مسافة (٥٠,١م)، ثم تسير مسافة (٥٠,٣م) فتشكل واجهة الغرفة التى تتقدم القبة الضريحية، وهذه الواجهة، يبلغ ارتفاعها نفس ارتفاع واجهة القبة، فتحت بها نافذة مستطيلة ترتفع عن الأرض بمقدار (٣٠سم)، ويبلغ ارتفاعها (٧٠,١م)، وعرضها (٨٠سم). وهذا الجزء من الواجهة يرجح أنه شيد فى فترة لاحقة على نفس النسق القديم، أسوة بما وجد فى ضريح المنصور قلاوون.

الواجهة الجنوبية الشرقية

تتقدم هذه الواجهة مساحة فضاء، لازال يوجد جزء كبير من الحائط الذى كان يحدد مساحتها يوازى الحائط الذى يرتد عن واجهة القبة الجنوبية الغربية، وهذا الجزء المتبقى يبلغ عرضه (٣٠,٣م)، وارتفاعه(٣٠,٧م). وهذه الواجهة يتوسطها تقريباً أحد المداخل المحورية، والذى يبلغ اتساعه (٧٠,١م)، وارتفاعه (٧٠,٢م)، يتوِّجه عقد نصف دائرى، يعلوه نافذة مستطيلة ارتفاعها (٨٠,١م) وعرضها (٣٠,١م)، وارتفاع الواجهة فى هذا الجزء (٥٠,٥م) مما يشير إلى انخفاض الواجهة الجنوبية الغربية بمقدار (٢٠سم) عن تلك الواجهة يعلو هذا الجزء من الواجهة نفس الواجهة لمنطقة الالنتقال السابق وصفها.

أما عرض هذه الواجهة فيبلغ (٥٠,٤م) وهو العرض الذى يسير ليلتحم مع بناء الواجهة

الجنوبية الغربية الأصلى، غير أن هذا الجزء من الواجهة قد شهد إضافة جزء آخر يبرز عن الواجهة الجنوبية الغربية بمقدار (٥٠ ,١م)، ويسير مسافة (٥٠ ,٣م) ليكون واجهة الغرفة التى تتقدم واجهة الضريح الجنوبية الشرقية والتى سبق ذكرها.

القبة من الداخل

مربعة التخطيط طول ضلعها (٥٠ ,٥م)، ويتوسط الجهة الجنوبية الشرقية منها االمحراب الذى يبلغ اتساعه (٢م) وعمقه (٨٠سم)، وارتفاعه حتى قمة العقد (٥٠ ,٤م)، يتوجه عقد منكسر، يتوِّجه عقد منكسر آخر زخرفت أطره بزخارف نباتية عبارة عن مراوح نخيلية وأوراق قالبية وذلك بالحفر على الجص، وحول هذه الأطر نقشت كتابة تمثل آيات قرآنية، وكذلك حنية المحراب التى شغلت أيضاً بالزخارف النباتية السابقة.

يرتكز عقد المحراب على وزرة خشبية ضيقة اتساعها (٢٠سم) أسفلها وزرة أخرى أكثر اتساعاً اتساعها (٤٠سم) يسيران على حوائط القبة، وقد كانت تحمل هذه الوزرات الخشبية نقوش زيتية[1] يبدو أنها كانت عبارة عن كتابان تأسيسية وقرآنية (لوحة ٦).

على جانبى المحراب توجد دخلتان، يبلغ اتساع كل منها (٨٠سم) وارتفاع كا منها (٤٠ ,١م) يتوج كل دخلة عقد مستقيم، يعلو مستوى المحراب أفريز آخر خشبى خالى الآن من الزخرفة أو الكتابات ترتكز عليه منطقة الانتقال، والتى هى عبارة عن حنية ذات عقد منكسر متوجه بعقد منكسر آخر محاطة بحنيتين، فى كل جهة تحمل صف آخر من المقرنصات بنفس تكوين الصف السابق، يلى ذلك صفان من الحنايا المصمتة ذات العقود المنكسرة، واحدة وسطى مفتوحة على جانبيها حنيتان، وبذلك تصبح منطقة الانتقال فى هذه القبة مكونة من أربع حطات من المقرئصات (٥: ٥: ٥: ٥)، لوحة(٧).

يعلو هذه المنطقة شريط دائرى مكون من جامات أو خراطيش كتابية تتضمن آيات من الذكر الحكيم، وبين كل خرطوش والذى يليه صرة زخرفية منفذة بالحفر على الجص يتخلل كل جامة بعض الزخارف النباتية والهندسية، بجانب استعمال خط الثلث فى تنفيذ هذه الكتابات. يلى ذلك بدن القبة ، والتى شغل قطبها ببعض النقوش الكتابية التى تسير فى هيئة دائرية، والتى أرجح أنها كانت تشتمل على نص تأسيس المدرسة والقبة، مثلما وجد فى قطب

(1) Creswell, Op.Cit. P.218.

قبة خانقاه أيديكين البندقدارى بالسيوفية (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م).

التحليل المعمارى

استعرضت فيما سبق الوصف المعمارى للبقايا الأثرية الخاصة بالمدرسة، وكذلك وصف القبة، وقد اشتملت هذه المكونات المعمارية على بعض العناصر المعمارية، والتى يمكن تتبع تطور كل عنصر معمارى وفقاً للترتيب التالى: مربع القبة- منطقة الانتقال – القبة – العقود (عقد منكسر- نصف دائرى – مستقيم)الدخلات الحائطية (والكتبيات):

١) مربع القبة

هذا الضريح مربع التخطيط يشتمل على ثلاثة مداخل محورية، وهذا النمط من التخطيط وجد بمدينة القاهرة خلال العصر الفطمى داخل أثر أطلق عليه: القبة الفاطمية تقع فى مواجهة خانقاه بيبرس الجاشنكير يعود تاريخها إلى (حوالى ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م)، وهذه القبة مربعة التخطيط لها ثلاثة مداخل محورية فى ثلاث جهات، والجهة الرابعة يوجد بها المحراب، ويختلف ضريح طرنطاى عن هذه القبة الفاطمية فى أن الأول ملحق بمدرسة، والثانى أثر مستقل[١]. وقد وجدت نماذج من هذا التخطيط فى مقابر أسوان، والتى تفتقد معظمها لتواريخ تشييدها[٢].

وقد استمر التخطيط المذكور معروفاً خلال العصر الأيوبى، حيث وجد فى ضريح الخلفاء العباسيين، وضريح شجر الدر بالخليفة[٣]، والتى شيدت كأضرحة مستقلة أيضاً ثم عرف التخطيط نفسه فى بعض النماذج المملوكية، والتى تبقى منهل الضريح الخاص بالأمير حسام الدين طرنطاى.

ولعل السبب وراء تخصيص ثلاثة مداخل فى هذا الضريح، هو الوضع المعمارى لهذا الضريح إذ شيد بالجهة الشمالية الشرقية من إيوان المدرسة القبلى وهذا الوضع قد جعل المعمار يفتح أحد مداخل الضريح إلى إيوان القبلة، وذلك فى الجهة الجنوبية الغربية، والآخر مواجه له، ويطل على الطريق الذى شيدت عليه المدرسة، اما الثالث، والذى يواجه المحراب،

---

(1) Kessler (Christel), Funerary Arhitecture Within The City, Colioque International Sur L`histoire Du Caire, Egypt, 1969, P,258.

(٢) فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م، ص٥٤٣-٥٤٩.

(3) Creswell, Op. Cit. Fig, 40, 71.

فقد كانت تتقدمه حجرة كالتى وجدت فى قبة قلاوون، والتى ربما خصصت لجلوس القراء بها لتلاوة آيات الذكر الحكيم على روح المتوفى. وبذلك يتبين لنا أن المدخلين المواجهين لبعضهما، قد كان لهما سبب وظيفى، هو إدخال نعش المتوفى من المدخل الذى بالواجهة، واجتياز المدخل الثانى المواجه له، وذلك لأداء الصلاة على الميت والعودة به مرة أخرى إلى مقره الأخير بالضريح، والخروج من الباب الآخر المواجه. بالإضافة إلى وجود التخطيط ذى المداخل الثلاثة، فقد وجد خلال ذلك العصر الضريح ذى المدخلين والذى يفتح أحدهما على إيوان القبلة، والآخر على أحد الإيوانات الأخرى، كما هو الحال فى ضريح زين الدين يوسف بالقادرية (٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م). وبجانب ذلك وجد أيضاً الضريح ذى المدخل الواحد، والذى غالباً ما يكون مستقل، مثل ضريح بدر الدين القرافى (٧١٠-٧٢٠هـ/ ١٣١٠-١٣٢٠م) وضريح قوصون (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، بصحراء السيوطى، بالإضافة إلى وجود أمثلة كثيرة من الأضرحة ذات مدخل واحد ملحقة بمنشآت أخرى دينية[١].

وقد استمرت فكرة إلحاق الأضرحة بالمنشآت الدينية فى العصر المملوكى بعد ظهور أول مثل باق لها بمشهد الجيوش (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، ومن بعده وجدت بمدرسة الصالح نجم الدين أيوب بالنحاسين، والذى شيد الضريح بها بعد بناءها بحوالى ثمان سنوات[٢]. وشاعت بعد ذلك هذه الظاهرة فى عمائر العصر المملوكى والعثمانى.

٢) منطقة الانتقال (لوحة٧)

تتكون منطقة انتقال ضريح الأمير حسام الدين طرنطاى من أربعة حطات من المقرنصات[٣] كل حطة مكونة من خمس حنايا، حيث استعملت هذه المقرنصات لتحويل مربع

---

(١) مثل قبة الضريح بمسجد أحمد اتلمهمندار ٧٢٥هـ/١٣٢٤م، وقبة مسجد الماس الحاجب (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)، وغيرها أمثلة كثيرة.

(2) Kessler, Op, Cit. P,262.

(٣) هى تصميمات إسلامية اتخذت ثلاثة أشكال أطلق عليها المقربض؛ الحنايا الركنية؛ الدلايات، وتستخدم للتدرج من الشكل المربع إلى السطح الدائرى لتقوم عليه القباب. انظر عنها:

Hill, (D), Islamic Architecture & Its Decoration, A.D (800-1500), London, 1967, P,93.

زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، دار الكتب ١٩٤٠م، ص٥٣؛ مارتن برجز: فن العمارة تراث الإسلام فى الفنون الفرعية والتصوير والعمارة، ترجمة: زكى محمد حسن، دار الكتاب العربى، ط١، ١٩٨٤، ص١٤٦.

القبة إلى شكل دائرى يسهل معه إقامة القبة[١] وذلك ببناء حنية ركنية فى أركان مربع القبة العلوى على جانبيها حنيتان فى كل جهة فيتحول المربع إلى مثمن. ولتحويل هذا البدن المثمن إلى دائرى كرر المعمار هذه الفكرة بنفس التكوين السابق فى ثلاثة صفوف متتالية/ مما نتج عنه شكل دائرى أقيمت فوقه القبة[٢].

وهذا التكوبن المتطور لمنطقة الانتقال وصل إلى ما وصل إليه من خلال مراحل تطورية بدأت فى العصر الفاطمى مكونة من حطة واحدة فى قبة أخوة يوسف، تطورت بعدها إلى حطتين فى ضريح محمد الجعفرى، والسيدة عاتكة، والسيدة رقية بالخليفة، وهى المجموعة التى تمثل النموذج الثانى لتطور منطقة الانتقال. وأما النموذج الثالث لتطور منطقة الانتقال فيتمثل فى قبة أبى الغضنفر سنة (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م). إذ أن المقرنص فى هذه القبة أصبح يتكون من ثلاث حطات كل حطة تتكون من حنية وسطى وخمس حنايا محيطة بها[٣]. واستمر نفس هذا التكوين لمنطقة الانتقال معروفاً بجانب النموذج الثانى المكون من حطتين خلال العصر الأيوبى، حيث يمثل النموذج الثالث قبة الإمام الشافعى (٦٠٨هـ/ ١٢١١م)[٤] ويمثل النموذج الثانى ضريح الخلفاء العباسيين، وضريح شجرة الدر بالخليفة.

أما العصر المملوكى، فقد تمثل فى ضريح الأمير حسام الدين طرنطاى النموذج الرابع لتطور مناطق الانتقال، حيث إنها تتكون من أربع حطات من المقرنصات كل حطة خمس حنايا، وهو النموذج الأول الذى ظهر فى عمائر هذا العصر ويمثل المرحلة الرابعة من مراحل التطور، ثم ظهر فى قبتى التربة السلطانية (٨هـ/ ١٤م) بجانب ذلك، وجدت بعض مناطق الانتقال التى تمثل المراحل التطورية السابقة، مثل منطقة انتقال قبة أم الصالح[٥]، والتى تتكون من ثلاث حطات من المقرنصات، والتى وجدت خلال العصرين الفاطمى والأيوبى، وظهرت كذلك فى قبة الصوابى، وقبة قوصون، وغيرها أمثلة كثيرة.

---

(1) Al Basha (H), The Muqarnas, A genuine Characteristic Of Islamic Art It`s EarlyUse & Development in Domes Minbar AL Islam, Vol V No, I P,34.

(2) Al Basha (H), Op. Cit, P. 34.

(٣) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، جـ١، العصر الفاطمى، دار المعارف ١٩٦٥م، ص١٦٥، ١٦٦.

(4) Al Basha (H), Ibid, P,36.

(٥) حسن عبد الوهاب: مميزات العمارة الإسلامية فى القاهرة، مؤتمر الآثار فى البلاد العربية، دمشق ١٩٤٧م، مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٤٥م، ص١٨٣.

٣) القبة:

أقيمت القبة فوق المنطقة الدائرية الناتجة من تحويل المربع بواسطة المقرنصات المذكورة، وهذه القبة التى تتوج مربع الضريح الملحق بمدرسة طرنطاى هى قبة ملساء مكسوة بالجص حافلة بالنقوش والزخارف النباتية وذلك من الداخل، وهذا النمط من القباب الملساء كان موجوداً بجانب نمط آخر من القباب زخرفت بالتضليع من الداخل والخارج(١)، وهذين النمطين ظلا موجودين خلال العصر البحرى، وتبعهما أمثلة أخرى فى ذلك العصر، وقرب نهاية القرن (٨هـ/ ١٤م) ظهرت نماذج أخرى لزخرفة القباب.

ومن أمثلة القباب الملساء التى تعود للعصر البحرى: قبة خانقاة علاء الدين أيدكين البندقدارى (٦٨٣هـ)، والأشرف خليل، وزاوية زين الدين يوسف استعمل فيها التضليع، وكذلك بدر الدين القرافى، وقبة قوصون، وغيرها.

٤) العقود:

استعمل بضريح حسام الدين طرنطاى ثلاثة أنواع من العقود هى: العقد المستقيم، والعقد العاتق، والعقد المنكسر؛ حيث استعمل العقد المستقيم فى تتويج فتحة المدخل الشمالية الشرقية المطلة على حارة الصاوى، وكذلك فى فتحة المدخل الجنوبية الغربية التى تفتح على الإيوان القبلى للمدرسة، أما العقد العاتق، فقد استخدم فى فتحة المدخل التى تواجه المحراب، والعقد المنكسر استعمل فى تتويج حنية كل من محراب القبة، ومحراب إيوان القبلة، وهو فى كل منهم نفذ بطريقة مزدوجة، مشغول بالزخارف الجصية وذلك بالضريح، كما استعمل فى تتويج إحدى الحنايا المصمتة التى تزخرف الجدار الجنوبى الذى يتكون منه الصحن، والذى يتصل بجدار الضريح الجنوبى الغربى المشترك مع إيوان القبلة. (لوحة ٢).

وقد مرت هذه العقود بمراحل تطورية أوجزها فيما يلى:

---

(١) هذا الأسلوب الذى اتبع فى زخرفة القباب أسلوب شامى ظهر أول مثل لها فى قبة حمام الصرح، وفى قبة الأخيضر، ثم فى القبة التى تعلو المنطقة المربعة أمام محراب مسجد القيروان (٢٤٨هـ ٨٦٢م) حيث عرفه المغاربة وانتقل معهم إلى مصر بعد فتحهم لها سنة (٣٥٨هـ)، ومن ذلك أقول: إنه تأثير شامى أخذه المغاربة من الشوام، وأخذه المعمار المصرى من المغاربة، انظر عن ذلك:

- Shafii (F), West Islamic Influences an Architecture in Egypt [before the Turkish period], The bulletin of the Faculty of Arts, Vol XVI. Part II, December 1954, p.10.
- Kessler, Domes of Cairo, (A.A.R.P) The American university in Cairo press, 1978, p,4.

أ- العقد المستقيم (لوحة ٢)

ظهر هذا النوع من العقود فى مصر الفاطمية فى الواجهة الشمالية الغربية فى بعض المداخل الثانوية لجامع الحاكم بأمر الله، وهو عبارة عن أعتاب حجرية مستقيمة تتوج فتحات المداخل من أعلى، وقد ظهر أول أمثلة هذا النوع من العقود فى العمارة الإسلامية فى قصر الحير الشرقى الذى يعود تاريخ بنائه إلى سنة (١١٠هـ/ ٧٣٠م)، وهو مشيد بصنجات من الحجر[١].

وقد استمر استعمال هذا النوع من العقود فى معظم العمائر القاهرية خلال عصورها المتعاقبة؛ حيث كان يستعمل بصفة خاصة فى فتحات المداخل والنوافذ، إما بهيئة مسطحة لا صنعة فيها كما هو الحال فى ضريح طرنطاى، وإما أن تصنع هذه العقود من صنجات تعشق ببعضها ليتكون منها العقد المستقيم بالهيئة الزخرفية المطلوبة.

ب- العقد العائق (لوحة ٢)

استعمل هذا النوع من العقود فوق العقود المستقيمة وذلك لتخفيف ثقل البناء فوق العتب المستقيم، أى أنه يعتق هذا العتب من الثقل الواقع عليه، وعادة ما يكون بينه وبين العقد المستقيم منطقة مقوسة تأخذ شكل العقد العاتق من الجزء السفلى تسمى "نفيس"، عادة ما كانت تملأ ببعض الزخارف، وقد فقد فى الباب الجنوبى الشرقى من الضريح العقد المستقيم، والنفيس، وتبقى العقد العاتق.

وقد استعمل هذا النوع من العقود فى بوابات القاهرة الفاطمية، حيث وجد فى بوابة الفتوح (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م)، ثم ظهر فى واجهة المدرسة الصالحية أعلى العتب المستقيم الذى يتوج فتحة المدخل الرئيسى للمدارس، ويبدو من خلال ظهور هذا النوع من العقود على بعض الآثار واختفائه من بعضها أنه استعمل فى المنشآت التى تمتاز بتعدد مفرداتها المعمارية أو ارتفاع واجهاتها، أو ثقل الكتل المعمارية الواقعة على الجزء الذى يعلوه العقد العاتق، ومن ثم فقد أوجده المعمار بغرض وظيفى نحو التخفيف والعتق عن بعض الأجزاء المعمارية، وبالتالى الحفاظ على المبنى. وقد ظهر هذا النوع من العقود بعد ذلك وشاع خلال العصر المملوكى بشقيه على معظم العمائر الدينية والمدنية التى تحتفظ بها القاهرة من هذه الفترة.

---

(١) فريد شافعى: المرجع السابق، ص ٢٠١.

جـ- العقد المنكسر (لوحة ٤، ش٢٠)

استعمل هذا النو من العقود فى تتويج حنايا المحاريب، وكذلك فى تتويج الحنايا المسمطة التى استعملت بقصد الزخرفة على عمائر العصرين الفاطمى والأيوبى، حيث وجد يزخرف الباتكات المطلة على الصحن بالجامع الأزهر وبالجامع الأقمر، كما وجد فى ضريح "السيدة رقية" (٥٢٧هـ/ ١١٣٢م)، كما وجد يزخرف بائكات الصحن بمسجد الصالح طلائع بن رزيق (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) بنفس أسلوب زخرفة بائكات الجامع الأزهر، ثم شاع فى عمائر العصر الأيوبى فوجد على واجهة المدرسة الصالحية، وطاقة محراب مشهد الخلفاء العباسيين، وضريح شجرة الدر أعلى حنية المحراب وفى الواجهات الخارجية، وقد استعمل هذا العقد بصورة مزدوجة فى ضريح طرنطاى وذلك فى تتويج حنية المحراب الخاص بالضريح وبإيوان القبلة، مما يفسر تطور استعمال هذا النوع من العقود خلال هذا العصر، والذى انتشر فى كثير من عمائر العصر المملوكى.

٥) الخزانات الحائطية

اشتمل الضريح على ثلاث دخلات حائطية على يمين ويسار المحراب، وعلى يمين الداخل من المدخل الجنوبى الشرقى للضريح، وكذلك توجد دخلات حائطية مشابهة بجدار المحراب بإيوان القبلة الخاص بالمدرسة، ولكن بعضها قد فقد، وتبقى منها واحدة على يسار المحراب.

وقد تم إنشاء هذه الدخلات فى الضريح والإيوان الرئيسي للمدرسة بقصد استعمالها فى حفظ الكتب، والأشياء المتعلقة بالمدرسة والضريح، ويحتفظ الجامع الأقمر بالقاهرة بأقدم مجموعة من الدخلات الحائطية على كل دخلة مصاريع خشبية[١].

الإيوان:

لازال جزء من المدرسة الحسامية باقياً إلى اليوم متمثلاً فى إيوان القبلة، وجزء من العقد الذى كان يفتح على الصحن بكامل اتساعه والخاص بهذا الإيوان، الذى سقف بسقف خشبى[٢]، مما يشير إلى أن الإيوان كان عبارة عن مساحة من الأرض محاطة بثلاثة جدران، والجدار الرابع يفتح بكامل اتساعه على الصحن بعقد مدبب، أو مخموس، أو دائرى وقد

---

(١) حسن عبد الواهب: تاريخ المساجد الأثرية، جـ١، ص٧٣.

(2) Creswall, Op. Cit, P.219.

يغطى بالأقبية أو بالأسقف الخشبية المسطحة، كما هو الحال فى سقف هذا الإيوان، ويعد هذا الإيوان المثل الأول فى عمائر العصر البحرى الذى كان يفتح على الصحن بعقد، والمثل الثالث بعد إيوان السادات الثعالبة خلف الإمام الشافعى (٦١٣هـ/ ١٢١٦م)، والإيوان الجنوبى الشرقى للمدرسة الشمالية الشرقية من المدارس الصالحية، وهذا المثل المملوكى يختلف عن الأمثلة السابقة فى أنه النموذج الأول للإيوانات التى سقفت بسقف خشبى، إذ أن الأمثلة الأيوبية السابقة كانت مغطاه بأقبية[١].

زخارف الضريح والإيوان القبلى

اشتمل الضريح وواجهة الإيوان القبلى التى تشكل بامتدادها جهة الشمال الشرقى جزء من صحن المدرسة، على زخارف جصية نباتية، وهندسية وكتابية.

١) الزخارف النباتية (لوحة١، ٣، ٦)

تعتبر الزخارف النباتية من أهم عناصر الزخرفة الإسلامية، التى أبدع فيها الفنان المسلم.

ومن هذه الزخارف التى نفذت داخل ضريح ومدرسة طرنطاى: المروحة النخيلية وأنصافها، والأفرع النباتية الملتوية، وذلك بالحفر البارز، مع استعمال التخريم فى زخرفة بعض هذه الأشكال. مع استعمال الورقة النباتية الثلاثية، والثنائية متداخلة مع الزخارف السابقة، وهذه الزخارف قد امتلأت بها طاقية المحراب وكوشتاه، حيث نفذت الزخرفة بجعل المراوح النخيلية، والأوراق الثنائية والثلاثية فى مستوى أعلى من مستوى المهاد الذى هو عبارة عن أفرع نباتية ملتوية تتصل بالزخارف السابقة فى مستوى حفر أكثر عمقاً، والفنان بذلك قد تأثر بالأساليب السلجوقية فى تنفيذ هذه الزخرفة[٢] خاصة فى مستويات الحفر، والتخريم. هذا وقد اشتملت الحنية المصمتة التى يزدان بها الجزء الشمالى الشرقى من الحائط الجنوبى الشرقى لحائط المدرسة، بنفس الزخارف السابقة وبنفس الطريقة فى التنفيذ.

---

(١) انتقلت فكرة بناء الأواوين إلى العمارة الإسلامية فى العراق من الفرس، واستخدمت أول ما استخدمت فى عمارة القصور، حيث استعملت فى قصر الأخيضر، الذى يعود بناؤه إلى النصف الثانى من القرن (٢هـ/٨م)، حيث كان يحتوى على إيوان مفتوح على بهو واسع، انظر: أحمد فكرى: المرجع السابق، ص٨٧، ٨٨.

(٢) جمال عبد الرحيم: الزخارف الجصية فى عمائر القاهرة الدينية الباقية فى العصر المملوكى البحرى: مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآثار، ١٩٨٦م، ص٦٤، ٦٥.

٢) الزخارف الهندسية

تمثلت الزخارف الهندسية المستعملة فى زخرفة ضريح طرنطاى فى العناصر الآتية: الحشوة الجصية المستطيلة التى تعلو حنية المحراب، والتى اشتملت بدورها على بحور مستطيلة تبدأ وتنتهى بأشكال دائرية تشتمل على زخارف مجدولة، مع استعمال:

١) الأشكال الدالية داخل أطر لتحديد الزخارف الكتابية.

٢) الخطوط المتقابلة والمتقاطعة التى تشتمل عليها الدوائر التى تفصل الساحات المستطيلة المكونة للشريط الجصى الذى يدور برقبة القبة والمتضمن لآيات قرآنية، يحيط بها إطار ضيق من الزخارف الزجزاجية على هيئة الدائرة.

٣) استعمال زخرفة الدقماق[١] فى شكل تبادلى، لتزيين النوافذ السداسية الأربعة المحصورة بين مناطق انتقال القبة، وذلك داخل إطارات الفتحات الستة الخاصة بكل نافذة.

ومما سبق يتضح أن الزخارف الهندسية اعتمدت معظمها فى تكويناتها على استعمال الخطوط التى تشكلت بهيئة الدائرة والمستطيل، ونصف الدائرة، والزخارف الدالية المتداخلة والزجزاجية، والزخرفة التى تشبة الدبوس، المعروفة بالدقماق والذى استعمل فى زخرفة بعض أوانى الخزف الفاطمية خاصة الشعبية منها[٢].

٣) الزخارف الكتابية

اشتمل الضريح المذكور على العديد من آيات الذكر الحكيم نفذت بخط الثلث على مهاد من الفروع النباتية، وذلك أعلى طاقية المحراب داخل البحور المستطيلة بأطراف الحشوة الجصية المستطيلة التى تعلو هذه الطاقية. وهذه الآيات من سورة النور، الآيتان (٣٦، ٣٧)، وقد كتبت الآيتان دون أن تكتمل الآية (٣٧) نظراً لضيق المساحة حيث توقفت عند قوله تعالى: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ...) كما استعمل نفس الخط المذكور فى تنفيذ كتابات الشريط الجصى الذى يدور برقبة القبة، والذى تضمن الآيتين (١٩٠، ١٩١) من سورة آل عمران "البسملة" ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي

---

(١) جمال عبد الرحيم: المرجع نفسه، ص٣٨.

(٢) زكى محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية، ش٤٤.

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾. كذلك اشتمل قطب القبة على بعض الكتابات التى أرجح أنها كانت تشتمل على نص التأسيس الخاص بالقبة والمدرسة، وقد استعمل هذا النوع من الخطوط فى تنفيذ معظم الكتابات على العمائر فى ذلك العصر، وهو أحد أفرع خط النسخ الذى بدأ يأخذ مكانته على العمائر منذ العصر الأيوبى بعد أن كان الخط الكوفى هو السائد فى العضر الفاطمى، ورغم سيادة الخط النسخ فى العصر المملوكى إلا أن الخط الكوفى قد ظل مستعملاً أيضاً على العمائر فى ذلك العصر، وربما استعملا معاً على أثر واحد[1].

وبعد فإن دراسة هذا الأثر قد أسفرت عن هذه النتائج:

١) شيدت القبة والمدرسة سنة (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م) بجوار منزل المنشئ.

٢) اشتملت القبة على المرحلة الرابعة لتطور مناطق الانتقال.

٣) تمثل المدرسة والضريح النموذج الأول فى عصر المماليك البحرية لإلحاق القبة بمنشأة تعليمية، والمثل الثانى بعد مدرسة الصالح أيوب.

٤) تؤكد البقايا الأثرية لإيوان المدرسة أن هذا الإيوان كان يفتح على الصحن بعقد، وأن سقف هذا الإيوان كان خشبياً.

٥) تشير ساحة الصحن، والمبانى الملاصقة إلى ان هذه المدرسة كانت تتكون من إيوانين، وملاحق على جانبى الصحن.

٦) يمثل تخطيط الضريح النمط الأول لهذا التخطيط فى عمائر العصر البحرى، وجاء كضرورة لوضع القبة بالنسبة للمدرسة.

٧) اشتملت القبة وبقايا الإيوان على عناصر زخرفية تؤكد الثراء المعمارى الذى كانت عليه هذه المدرسة فى ذلك العصر.

** ** ** **

(١) حسين عبد الرحيم عليوة: الخط: مقال بكتاب القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها، القاهرة ١٩٧٠م، ص٢٧٩، انظر: الفصل الثالث من هذا الباب.

obeikandl.com

الفصل الثانى

مدرسة مقبل الزمام

أثر رقم ١٧٧

obeikandl.com

obeikandl.com

ترجمة المنشئ:

هو الأمير مقبل بن عبد الله السيفى يلبغا، من مماليك الأمير يلبغا العمرى[١]، شأنه فى ذلك شأن السلطان برقوق، الذى التحق بخدمته، فتولى رئاسة الخدم[٢] أى زمام الدور السلطانية، واستمر يعمل بها حتى عصر الناصر فرج بن برقوق[٣].

وقد امتاز هذا الأمير بالحشمة والرياسة، وكذلك بإقباله على التصوف، حتى صار آنذاك شيخ مشايخ السادة الخدام بالحرم النبوى الشريف[٤]، وحقق الأمير مقبل ثروة عظيمة عمر بها عدة أملاك ودور وقفها على مدرسته التى شيدها بالمسطاح فى الجهة الشمالية منه داخل الحارة المعروفة الآن بشرف الدين حيث يوجد المدخل الرئيس لها، أما وجهتها الشمالية الشرقية فتطل على شارع اللبودية. وقد جمع الأمير مقبل بين وظيفة المشيخة ووظيفة الزمامية خلال عصر السلطان برقوق وابنه الناصر فرج، حيث تشير إلى ذلك وثيقة وقفه المسجلة على الحجر علو مدخل المدرسة، والتى استمر يشغلها حتى سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م).

وينتمى الأمير مقبل إلى الجنس التركى، حيث تشير إلى ذلك المصادر التاريخية التى نعتته بالرومى[٥]. نسبة إلى موطنه الأصلى القادم منه وهذا يشير إلى أنه كان من الرقيق الجلبان الوافدين مع تجار الرقيق، لكن نبوغه الدينى والعسكرى مكنه من الوصول إلى أعلى الوظائف الدينية فى ذلك العصر والمرتبطة بالتصوف – والذى اشتد تياره[٦] فى تلك الفترة – وهى مشيخة الشيوخ للسادة الخدام بالحرم النبوى، بالإضافة إلى وظيفته كزمام للدور السلطانية.

---

(١) أكثر هذا الأمير من المماليك، وذلك فى عصر الأشرف شعبان، وصار يحسن إليهم إحساناً كبيراً، وعمل على أن يتولى هؤلاء المماليك مناصب قيادية فى الدولة، مما كان له أكبر الأثر فى زيادة نفوذ هذه الطائفة العسكرية فى دولة المماليك البحرية، والتى كان ينتمى إليها أيضاً السلطان برقوق نفسه مؤسس دولة المماليك الجراكسة. انظر:

حكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٧م، ص٣٢.

(2) Brechame (Max. Van), Corpous Inscriptions Arabianuim, Paris, 1894, Vol II, P,308 – 309.

(٣) السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لبنان/المجلد الخامس، جـ١٠، ص١٦٨.

(4) Ibid, P, 309.

(٥) السخاوى: المصدر نفسه، م٥، جـ١٠، ص١٤٨.

(٦) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النهضة العربية ١٩٨٠م، ص٢٠٤.

وقد تواتر كذلك إطلاق اسم الداودى على صاحب هذه المدرسة، فقد ذكرته بهذا الاسم لجنة حفظ الآثار العربية فى نهاية القرن (١٩م)، التى قامت بمعاينة المسجد ورأت ضرورة تسجيل المدخل والدركاة فقط ضمن الآثار الإسلامية[١]، وهذا الاسم الذى لزم اسم الأمير مقبل وأعنى به الداودى لم يرد ذكره فى المصادر التاريخية، وربما سكن بهذه المدرسة سميه المنسوب إلى داود، وانسحب الاسم على المدرسة فعرفت بالأمير مقبل الداودى فى حين أنها من إنشاء الأمير مقبل الرومى[٢].

وقد صاحب وظائف الأمير مقبل المسجلة ضمن وثيقة وقفه أعلى مدخل المدرسة الألقاب التالية: الجناب الكريم العالى المولوى الأميرى المقدمى الشيخى الزينى مقبل بن عبد الله السيفىيلبغا شيخ مشايخ السادة الخدام بالحرم النبوى ... الزمام الملكى الظاهرى[٣]. (انظر لوحة ١٢، ١٣). وبتحليل هذه الألقاب الفخرية نتبين مدى موافقتها للوظائف التى تقلدها هذا الأمير خلال حياته:

الجناب :

الجناب فى اللغة: الغناء أو ما يقرب من محلة القوم، وهو من الألقاب الأصول التى بدأ استعمالها فى المكاتبات؛ إذ أنه كان يعبر عن الرجل بغنائه وما قرب من محلته من باب التعظيم[٤]. وقد كان يتبع هذا اللقب بعض الألقاب الفرعية التى توضح مرتبة الملقب، وقد وردت هنا بصيغة الكريم العالى، مما يشير إلى علو مرتبة الملقب، حيث إن دون هذا اللقب الجناب العالى، ودونه المجلس العالى[٥].

المولوى :

يطلق على السيد وعلى المملوك والعتيق وعلى المنتسب إلى قبيلة، وقد استعمل كلقب بمعنى السيادة أحياناً وبمعنى الانتماء أحياناً أخرى، وقد استعمل هذا اللقب كبار رجال الدولة من

---

(١) كراسات لجنة حفظ الآثار العربية، كراسة رقم (١٣٣) لسنة ١٨٩٢م، ص٥٧.

(٢) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٩٤.

(٣) قام بنشر هذا النص: Berchame (M.V), op.cit,p,308-309

(٤) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٢٤١.

(٥) حسن الباشا: المرجع السابق، ص٢٤٣.

الأمراء والمدنيين، حيث كان يوضع قبل اللقب الدال على الوضع دلالة خاصة[١].

الأميرى:

الأمير فى اللغة: ذو الأمر والتسلط، وهو لقب من ألقاب الوظائف[٢] التى ينتمى إليها منشئ المدرسة، فهو من أمراء المماليك، والذى يفسر دوره الوظيفى الألقاب التالية:

المقدمى:

المقدم بمعنى قائد، ولم يستعمل كلقب فخرى إلا فى حالة الإضافة إلى ياء النسب، وكان يطلق على مقدمى الألوف من الأمراء فى ذلك العصر[٣]. وفى هذه الحالة فإن الملقب قد اتخذ هذا اللقب ليتلاءم مع وظيفته القيادية سواء كشيخ مشايخ، أو كمشرف على الدور السلطانية كما سيأتى.

الشيخى:

الشيخ: هو الرجل الطاعن فى السن، وكان يطلق عرفاً على الكبار فى السن وكذلك على العلماء[٤]،وقد استعمل هنا بياء النسب ليدل على كبر سن الملقب وإلى علو كعبه فى مجال التصوف والعلم، خاصة وأنه شغل وظيفة شيخ مشايخ السادة الخدام بالحرم النبوى الشريف.

الزينى:

الزين نقيض الشين، وقد اضيفت إلى كلمات كثيرة لتكوين ألقاب مركبة مثل الدين. وإضافة ياء النسب إلى الكلمة يشير إلى أن الملقب اسمه زين الدين مقبل الرومى المنتسب إلى سيف الدين يلبغا العمرى، وهذا ما يشير إليه اشتمال النص على كلمة السيفى تالية لاسم الملقب مما يشير إلى تبعيته للشخص المذكور.

شيخ المشايخ (السادة الخدام):

لقب وظيفى تلقب به الأمير مقبل يوضح مكانته بين أقرانه، ويبين وضع اللقب الوظيفى داخل النص أنه عمل بهذه الوظيفة قبل عهد السلطان برقوق، وعمل بها فى عهده وحتى

---

(١) حسن الباشا: المرجع نفسه، ص ٥١٦– ٥١٩.

(٢) حسن الباشا: المرجع نفسه، ص١٧٩.

(٣) حسن الباشا: المرجع نفسه، ص٤٨٧.

(٤) حسن الباشا: المرجع نفسه، ص٣٦٤.

تاريخ وفاته (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م). وقد جرت العادة فى العصر المملوكى أن يتولى هذه الوظيفة أمير كبير من الطواشية يعين من قبل السلطان مقابل مرتب يحصل عليه من الدولة، وكانت هذه الوظيفة تعتبر الوظيفة الثالثة من وظائف المدينة النبوية، وقد استمرت إلى أواخر عصر المماليك[١].

الزمام:

تلى هذه الوظيفة وظيفة شيخ مشايخ السادة الخدام بالحرم النبوى، مما يفهم منه أن وظيفة المشيخة قد وليها قبل توليه وظيفة الزمام فى عهد السلطان برقوق (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م).

والزمام: لفظة عربية معناها المشرف، وهى تتفق – فى تلقبه بها – مع وظيفته كمشرف على السادة الخدام بالحرم النبوى، وكذلك مع وظيفته كمشرف على الخدام بالدور السلطانية[٢] فى عهد برقوق وابنه الناصر فرج.

الملكى:

تلقب به الأمير مقبل الرومى ليوضح نسبته إلى الملك الظاهر برقوق وأثبت فى النص بعد الوظيفة مباشرة للدلالة على أنه عمل فى هذه الوظيفة فى عهد الملك الظاهر برقوق[٣].

الظاهرى:

نعت خاص للسلطان برقوق أضيفت إليه ياء النسب للدلالة على أن الملقب كان من أتباع السلطان برقوق، كما يشير إلى أن النص قد كتب حين كان السلطان قائماً فى السلطنة[٤].

ومن خلال هذا العرض للألقاب الفخرية والوظائف التى منحت للأمير مقبل يتبين لنا الآتى:

١) اتخذ الأمير مقبل ألقابه التى توضح انتماءه إلى أمراء المماليك ملحقة بتوابع تبين علو قدر الملقب.

٢) كذلك فإنه اتخذ بعض الألقاب الفخرية التى تفيد فى توضيح مهمته الوظيفية الإشرافية

---

(١) حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٢، ص٦٤٩.

(٢) حسن الباشا: المرجع نفسه، جـ٢، ص٥٦٧.

(٣) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص١١١.

(٤) حسن الباشا: المرجع السابق، ص١١١.

مثل اتخاذه للقب المقدمى، والزمام، والتى يشير الأول إلى أن الملقب وظيفته قيادية، وكذلك الثانى الذى يعنى أن الملقب وظيفته إشرافية، والتى يعنيها اللقب الوظيفى نفسه، مما يؤكد انسجام الألقاب الفخرية مع الوظائف التى شغلها هذا الأمير.

٣) كذلك فإن النص قد سجل فى عهد السلطان برقوق، ويتأكد ذلك من خلال استعماله للقب الملكى الظاهرى، وهذا يفيد فى تأريخ المدرسة التى لا تحمل أية نصوص تفيد فى هذا الشأن غير أن المصادر قد أكدت هذه الناحية لتتوافق مع النص التسجيلى.

٤) كما اشتمل النص على ما يفيد نسبة هذا الأمير إلى الطائفة اليلبغاوية التى أسسها الأمير سيف الدين يلبغا العمرى، والتى ينتمى إليها أيضاً السلطان برقوق نفسه، وهذا يفسر أن هذا الرجل قد كان من أصحاب المراكز المرموقة، إذ أن أصحاب هذه الطائفة كانوا يحتلون بالفعل المراكز المرموقة بالدولة، ومن ثم فإن سطوتهم كانت كبيرة، وهذا ما يتأكد من خلال وظائفه وألقابه.

وفاة الأمير مقبل:

توفى الأمير مقبل بعد رحلة عمل طويلة تقلد خلالها وظيفة المشيخة ووظيفة رئيس الخدم بالدور السلطانية فى عهد برقوق وفرج، أى منذ سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، وحتى سنة (٨١٠هـ/ ١٤٠٧م)، وهو تاريخ وفاته حيث توفاه الله إلى رحمته فى مستهل ذى الحجة من السنة المذكورة[١].

ولم تشر المصادر التاريخية إلى تاريخ ميلاده، لكنها اكتفت بذكر وفاته، غير أن لقب الشيخ الممنوح له والمسجل على المدرسة بتاريخ (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م)، يشير إلى كبر سنه فى ذلك التاريخ، والشيخ تطلق على من كان سنه يتراوح ما بين الستين والسبعين، وعلى ذلك يمكن أن أقول أن تاريخ ميلاده (٧٣٧هـ) أو (٧٤٧هـ) أى أنه توفى وسنه ٧٣ أو ٨٣، وهو مجرد احتمال.

---

(١) السخاوى: الضوء اللامع، م الخامس، جـ١٠، ص١٦٨، والمقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٤، ق١، ص٦٦، تحقيق: سعيد عاشور١٩٧٢م؛ وابن حجر العسقلانى (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): أنباء الغمر بأنباء العمر (٣ جزء) تحقيق: حسن حبشى، القاهرة (١٩٦٩-١٩٧٢م)، جـ٢، ص٣٩٤.

موقع المدرسة

تقع المدرسة داخل حارة شرف الدين فى الجهة الشمالية من خط المسطاح وهى محدودة بواجهتين إحداهما غربية وبها المدخل الرئيسى، والأخرة جنوبية، وقد اقتطع الأهالى أجزاء من مساحتها شيدوا عليها منشآت حديثة، ومن المرجح أن تكون هذه الأجزاء المقتطعة خاصة بخلاوى الطلبة الصوفية الدارسين، وبعض الملاحق الأخرى. وقد أطلق على مبارك على هذه المدرسة اسم جامع المغربى – نسبة لأحد التجار المغاربة الذى قام بتجديدها على حد قوله- وهذا خطأ إذ أن ما ذكره لا ينطبق على موقع هذه المدرسة[١].

وظيفة المنشأة

شيدها الأمير مقبل لتقوم بمهمة المدرسة، حيث خصها بعدد من الصوفية[٢] الدارسين، وكذلك بعدد من الموظفين المنوط بهم خدمة العملية التعليمية[٣] سواء للعلوم الدينية أو العلوم الدنيوية، ولخدمة هؤلاء وقف على مدرسته أوقافاً كثيرة كى تنهض بالوظيفة المشيدة من أجلها. وبجانب هذه الوظيفة التعليمية للمنشأة التى أطلق عليها داخل النص التسجيلى اسم المدرسة المباركة، والتى صيرها الواقف مسجداً تؤدى فيه الصلوات، بالإضافة إلى الصلاة الجامعة حيث أوجد بها منبراً لهذا الغرض[٤].

وعلى ذلك فقد جمعت المنشأة فى وظيفتها بين المدرسة والمسجد الجامع، حيث تمشى تخطيطها – وفقاً لما هى عليه الآن- مع تخطيط المدارس فى عصرها، مع قيامها بوظائف التدريس والصلاة والصلاة الجامعة، بالإضافة إلى احتوائها على المساكن لإقامة الطلبة الصوفية الدارسين، وكذلك إقامة أرباب الوظائف داخلها.

وعلى هذا فإن النص التسجيلى قد حدد صراحة دورها الوظيفى وهو المدرسة مع كونها مسجداً له مهامه الأخرى، وذلك عملاً بالحديث النبوى الذى يقول: "من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصراً فى الجنة"[٥].

---

(١) على مبارك: الخطط، جـ٦، ص١٧.

(٢) السخاوى: تحفة الأحباب، ص٦٧.

(٣) انظر النص (ش٢٣).

(٤) السخاوى: المصدر نفسه، ص٦٧.

(٥) تواتر ذكر هذا الحديث فى بعض وثائق العصر الجركسى كما فى الوثيقة ٤٧/٣١٣ وقف بيبرس الخياط.

فحقيقة الأمر هو بناء مسجد لله تعالى يتقرب به العبد إلى ربه ليظفر بالجنة فى الآخرة، أما الوظيفة فكان يحددها المنشئ، إما داخل وثيقة الوقف أو على جدران المنشأة، ليجمع بين الحسنيين، سواء من ناحية وقفه المدرسة للتعليم[1] أو تخصيصها لتكون مسجداً لله عز وجل دون أن يرتبط ذلك بالتخطيط الذى تكون عليه المنشأة، فالبقايا التخطيطية للمنشأة تشير إلى أنها تتبع تخطيط المدارس الجركسية المكونة من دور قاعة وإيوانين ومساكن للطلبة الدارسين وملاحق ومرافق، وهذا التخطيط لم يمنع من استخدامه كمسجد جامع تؤدى فيه صلاة الجمعة، على الرغم من مخالفته لتخطيط المساجد الجامعة التى تقوم على صحن وأروقة، مما يفسر عدم ارتباط الوظيفة بالتخطيط.

الوصف والتحليل المعمارى

تبقى من المدرسة كتلة المدخل والدركاة، والتخطيط العام الذى تم تجديد المنشأة – بعد ذلك– دون إجراء تغييرات كبيرة فى هذا التخطيط. اللهم إلا اقتطاع مساحات من المدرسة استخدمت لتشييد بعض المنشآت السكنية الحديثة، وفيما يلى وصف وتحليل لهذه البقايا المعمارية من مدرسةالأمير مقبل الرومى. (انظر: المسقط الأفقى ش٢٥).

كتلة المدخل (انظر: لوحات ٨، ٩، ١٠) (شكل٢٢)

يتوسط المدخل واجهة المدرسة الجنوبية الشرقية التى يبلغ عرضى الجزء منها (٦,٢٠م) يتقدمه حجر عرضه (٣,٢٠م) وعمقه (٨٠سم)، شغل جانبيه مكسلتان ارتفاع كل منها (٥٠سم) وعرضها (٨٠سم)وتبلغ فتحة المدخل (١,٤٠م) وارتفاعه (٢,٣٠م).

يتوج المدخل عقد مستقيم طوله (٢,٨٠م) وعرضه (٣٠سم) يعلوه نفيس، وعقد عاتق من صنجات معشقة ارتفاعه (٧٠سم) وعرضه (٢,٤٠م) يعلو هذا العقد نص الوثيقة المسجلة على الحجر بالخط الثلث المملوكى فى ثلاثة أسطر متتالية، طول هذا النص (٢,٧٠م) وعرضه (٧٠سم) وقد دون الواقف فى هذه الوثيقة كل ما يخص المنشأة فى إيجاز شديد من حيث الوظائف والوقف ونص الوثيقة الحجرية ما يلى: (ش٢٤) لوحة (١١، ١٢، ١٣).

---

(١) فقد خصها الكاتب بخزانة للكتب (مكتبة) للنهوض بهذا الأمر. انظر: النص التسجيلى، ش٢٣، لوحة ١٢، ١٣، والسخاوى: الضوؤ اللامع، م٥، جـ١٠، ص١٦٨.

السطر الأول: هذا ما وقف هذه المدرسة المباركة وصيرها مسجداً لله عز وجل، وجامعاً تقام فيه الصلوات وتعقد فيه الجمع والجماعات، العبد الفقير إلى الله تعالى الجناب الكريم العالى المولوى الأميرى المقدمى الشيخى الزينى مقبل بن عبد الله السيفى يلبغا شيخ مشايخ السادة الخدام.

السطر الثانى: النبوى على الحال به أفضل الصلاة والسلام والرحمة الزمام الملكى الظاهرى ضاعف الله تعالى ثوابه ويسر يوم العرض حسابه ... ومن جمله شروطه فى ذلك ألا ينزل فيه أحد بنخوة ولا بشفاعة أحد من أهل الشوكة، ولا يمضى نزول أحد عن وظيفته فى ذلك بوجه من وجوه الإمضاء، وإذا نزل أحد عن وظيفته فينزل فيها غيره من.

السطر الثالث: أهل الحق والاستحقاق ولا يستبدل منهم أحد فى وظيفته إلا بحج أو تطوع أو توعك لا يمكنه حضورها معه...كل...أحد العمل بذلك وملعون ثم ملعون ثم ملعون من غير ذلك أو نقصه أو أبطله بطريق من الطرق ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١٨١] (انظر: لوحة ١٢، ١٣).

يعلو هذا النص شباك عليه أرماح حديدية ارتفاعه (٩٠سم) وعرضه (٦٠سم)، وقد خصص لإضاءة الدركاة من الداخل، يعلو الشباك ثلاثة صفوف من المقرنصات ينتهى بها المدخل، حيث يتشكل بها طراز المدخل الذى ينتمى إلى طراز المداخل ذات الصدور المقرنصة، يعلو هذه المقرنصات رفرف خشبى يتوج المدخل. أما عضادتا المدخل، فقد نقش على ارتفاع قليل من المكسلتين داخل شريط آيات من الذكر الحكيم بالخط الثلث المملوكى، فقدت أجزاء منها وتبقى هذا الجزء الذى نصه ﴿.....وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ....﴾[التوبة:١٨] وذلك على مهاد من الزخارف النباتية (أرابيسك)، أما الجزء المفقود منها فهو﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[التوبة:١٨]، ﴿فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة:١٨] لوحة١٠.

وقد ضم المدخل عناصر معمارية تتناول السطور التالية مراحل تطورها وهى:

المدخل ذو الصدر المقرنص – العقد العاتق – الصنجات المعشقة – المقرنصات.

١) المدخل ذو الصدر المقرنص (لوحة١٤)

عرفت المداخل المقرنصة أولاً فى سوريا[١] وانتقلت منها إلى مصر، وذلك بما يقرب من مائة عام، إذ وجدت فى مدرسة "شادبخت" فى حلب والتى شيدت سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، وفى مشهد الحسين بحلب والمؤرخ (٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م)، فى حين وجد أول مثل باق لهذه المداخل فى زاوية زين الدين يوسف بالقادرية سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٨٩م)[٢]، وهذا النوع الذى يتمثل فى زاوية القادرية مدائنى يرتكز على صفوف من المقرنصات، أما المداخل ذات الصدور المقرنصة، فقد عرفت كذلك فى عصر المماليك البحرية واستمرت معروفة فى العصر الجركسى، فقد وجد من أمثلتها مدخل مدرسة سنجر وسلار الجاولى (٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، والباب البحرى بمسجد الطنبغا المارداني (٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م)، ومدرسة قطلوبغا الذهبى (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) بسوق السلاح.

اما فى العصر الجركسى فقد وجد من أمثلة هذا النوع: مدخل المدرسة موضوع البحث (٧٩٧هـ١٣٩٤م)، والباب القبلى بمسجد زين الدين يحيى ببولاق (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

وقد وجد بجانب هذا النوع من المداخل فى العصر المملوكى نماذج أخرى فريدة، وأخرى شائعة. أما النماذج الفريدة من هذه المداخل، فيمثله مدخل خانقاه بيبرس الجاشنكير (٧٠٩هـ/ ١٣١٠م)[٣] ومدخل الماس الحاجب (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)[٤]، ومدخل مسجد بشتاك (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) بدرب الجماميز[٥]. ومدخل مدرسة السلطان حسن (٧٥٧-٧٦٤هـ/

---

(1) Creswell (K.A.C), The Muslim Architecture Of Egypt Vol.II, P, 146-147.
(2) Ibid, P, 146-147.

(٣) يتكون مدخل خانقاه بيبرس الجاشنكير من سقيفة تتقدمه ترتكز على عقد خارجى نصف دائرى من مخدات، ومن الداخل ترتكز على حجر المدخل، وهى عبارة عن نصف قبة ترتكز على صفوف من المقرنصات، تتوج حجر المدخل الذى يوجد على جانبيه صفف مجوفة معقودة مخلق بها أعمدة وتيجان رشيقة مكسوة بالرخام.

(٤) يتكون هذا المدخل من حجر مستطيل يكتنفه عمودان رخاميان، وقد غطى بمقرنصات حجرية ذات دلايات. انظر: حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جـ١، ص١٣٧، لوحة (٧٦).

(٥) مدخل ضخم يكتنفه عمودان من الرخام وبجانبيه صفتان غطيتا بالمقرنصات، يغطى ذلك سقف من مقرنصات ذات دلايات تتوسطها صرة بها تضاليع محارية، انظر: حسن عبد الوهاب: المرجع نفسه: جـ١، ص١٤٤، جـ٢، لوحة (٨٥).

١٣٥٦-١٣٦٣م)[١]، ومدخل مدرسة أم السلطان شعبان (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)[٢].

وبجانب هذه النماذج الفريدة، وجد نمط آخر من المداخل ذات العقود المدائنية المقرنصة، والتى عم وجودها منشأت العصر المملوكى، مثل مدخل زاوية زين الدين يوسف بالقادرية (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) ومدخل مسجد أحمد المهمندار (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) ومدخل جامع قوصون سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)، ومدخل جامع الأمير شيخو الناصرى (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، ومدخل مدرسة برقوق (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)، ومدخل مسجد المؤيد شيخ (٨١٨-٨٢٣هـ/ ١٤١٥-١٤٢٠م)، وغيرها أمثلة كثيرة، لا يتسع المجال هنا لسردها، أما النوع الثالث من هذه الأنماط فهو المدخل ذو العقد المدائنى الخال من المقرنصات، وقد وجد هذا النوع فى المنشآت المعمارية التى تعود للعصر الجركسى، كما فى تربة أبناء السلطان قايتباى (٨٦٥هـ/ ١٤٦١م)، وذلك جنباً إلى جنب مع النمط الآخر الممتلئ بالمقرنصات، وإن كان الأخير قد انتشر بعد ذلك فى عمائر العصر العثمانى.

٢) العقد المستقيم – العقد العاتق

انتشر هذا النوع من العقود فى كافة أنماط العمائر خلال العصور المختلفة وذلك لتغطية الفتحات التى استخدمت كمداخل أو شبابيك.

وفى العصر المملوكى لازم هذا النوع من العقود عقد آخر أطلق عليه العقد العاتق، الذى يكون دائماً فوقه بينهما نفيس تزخرفه بعض الزخارف النباتية، وهذا العقد العاتق نفذ فى هذه المدرسة من صنجات معشقة رخامية متبادلة الألوان (أبيض-أسود) المعروف نظامها بالأبلق، وكان القصد من إيجاده: تخفيف الضغط الواقع على المدخل الناتج من المقرنصات الحجرية التى تتوج حجره.

---

(١) من المداخل البديعة، يتكون من حجر يكتنفه حنيتان تنتهيان بمقرنصات مكسية بالرخام الأخضر بأشكال هندسية، ويتوسط الحجر فتحة المدخل يعلوها نافذة مقرنصة يتوج الحجر مجموعة كبيرة من المقرنصات يعتمد عليها عقد المدخل.

(٢) من النماذج الفريدة لمداخل العمائر فى العصر المملوكى، وهو يتماثل مع مدخل مدرسةالسلطان حسن، مع اختلافات فى بعض المواضع، ومن أهمها: المدخل المسلوب الذى يشبه المداخل السلجوقية، والذى يختلف عن مدخل مدرسة السلطان حسن المعقود. انظر: حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، جـ٢، لوحة(١١٥).

٣) الصنجات المعشقة (انظر: لوحة١١).

عرفت العمارة الإسلامية هذا النوع من الحيل المعمارية المقصود بها تماسك فتحات المنشآت وبالتالى البنا، من العمارة الرومانية والعمارة البيزنطية، حيث يوجد أقدم أمثلتها الإسلامية فى قصر الحير الشرقى، وهو أبسط أشكال هذه الظاهرة، وتوجد أقدم أمثلتها فى مصر فى أبواب القاهرة الفاطمية المنسوبة إلى أعمال بدر الجمالى[١] وتطورت هذه الصنجات البسيطة الفاطمية إلى صنجات عديدة رائعة ومتطورة امتلئت بها العمائر خلال العصر المملوكى، ومنها ما وجد فى مدرسة مقبل الداودى والتى يتكون منها العقد العاتق. (لوحة ١١).

٤) المقرنصات ذات الدلايات (لوحة١٤)

وجدت تتوج المدخل الرئيسى للمدرسة، وهى من أهم العناصر الإسلامية التى انفرد بها الفن الإسلامى، وهى عبارة عن أشكال زخرفية على هيئة صفوف من الحنيات أو المحاريب الصغيرة بعضها فوق بعض، تكسو خطوط التقابل بين الأسطح الأفقية وفى الزوايا وفى الأركان[٢]، وتزخرف المداخل بهيئة زخرفية بديعة. بحيث أن زخرفتها لهذه المداخل قد أوجدت منها طرزاً عديدة اشتملت عليها عمائر القاهرةفى ذلك العصر.

وتتكون مقرنصات المدخل المذكور من حنايا معقودة بعقود مدببة بين كل حنية والتى تليها دلاية، وذلك فى ثلاث صفوف متتالية، وهذا النوع من المقرنصان يطلق عليه اسم المقرنص الحلبى أو الشامى التى تمتاز حناياها بأنها مقعرة مجوفة الطاقات[٣].

وربما يرجع السبب فى ذلك إلى استخدامها أولاً ببلاد الشام؛ إذ عرفت هذه المقرنصات فى بيمارستان نور الدين محمود بدمشق[٤] (٥٤٩هـ/ ١١٤٥م)، ومنها انتقلت إلى مصر بنفس الأسلوب الصناعى، والتركيب المعمارى له، ومن ثم صار يطلق عليها الموطن الذى أتى منه

---

(١) فريد شافعى: العمارة العربية، ص٢٠٩.

(٢) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص٨٧؛ ومارتن برجز: فن العمارة، ترجمة زكى حسن، تراث الإسلام، سوريا ١٩٨٤م، ص١٤٦.

(٣) عبد اللطيف ابراهيم: الوثائق فى خدمة الآثار، دراسات فى الآثار الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ١٩٧٩، ص٤١٨، حاشية (٢).

(4) Al Basha (H), The Muqarns "Its early Use In Islamic Doorways & Towers, Minbar Al Islam Vol.6. No, I April.

فعرفت بالمقرنصات الحلبية أو الشامية. ونتيجة لخضوع مصر والشام للسلطنة المملوكية وبالتالى سهولة الانتقال بينهما فإن ذلك قد أدى إلى وجود عدد غير قليل من الشوام داخل الأخطاط، وبالتالى ظهور الأساليب الشامية، وكذلك تأثر الشوام بالأساليب المصرية الوافدة عليهم بحكم انتقال المصريين لبلادهم، ومن ثم فقد ظهر أثر ذلك فى مثل هذه الزخارف المعمارية[1] التى كان الغرض من إنشاءها – أحياناً – زخرفياً، وأحياناً أخرى إنشائياً وقد وجدت أقدم أمثلة استعمال المقرنصات فى مصر فى مئذنة الجيوشى (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، وواجهة الجامع الأقمر (٥١٥هـ/ ١١٢١م) فى زخرفة المدخل، والحنايا الرأسية.

دركاة المدخل[2]: (انظر: المسقط الأفقى شكل ٢٥)

يؤدى المدخل السابق وصفه – بما لايشتمل عليه من عناصر معمارية – إلى دركاة غير منتظمة التخطيط أكبر عرض لها ٣م، وكذلك أكبر طول، تؤدى هذه الدركاة مباشرة إلى داخل المنشأة عن طريق ثلاث درج وباب يواجه المدخل الرئيسي.

وتعتبر الدركاة فى العمارة الإسلامية من أهم العناصر المعمارية المكونة للمداخل، فهى بمثابة حلقة اتصال بين المدخل وداخل المنشأة، ويوجد أقدم مثال لها فى زاوية زين الدين يوسف بالقادرية (٦٩٧هـ/ ١٢٨٩م)، ثم عم بعد ذلك وجودها فى كافة المنشآت المعمارية.

وهذه الدركاة تؤدى إلى داخل المنشأة، والتى جددت بأكملها، على النمط القديم حيث يشير إلى ذلك البقايا التخطيطية لها، والتى توحى بأنها كانت من المدارس المكونة من دور قاعة وإيوانين أكبرهما إيوان القبلة، والثانى يماثله من حيث الاتساع، مثل المدرسة المحمودية بالتبانة، والتى تعاصرها (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م).

وتبلغ مساحة الأرض التى شيدت فوقها المدرسة (٢٠,٥م × ١٦م)بما فى ذلك الأرض المقتطعة منها والمقام عليها بعض المنشآت السكنية الحديثة، وقد شغل من هذه المساحة (٣ × ٣,٥) الإيوان الشمالى الغربى الذى يشتمل فى الجهة الشمالية الشرقية على دخلة عرضها

---

(١) حسن عبد الوهاب: التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر، التاريخ والآثار، الحلقة الأولى، القاهرة ١٩٦١م، ص٩٣.

(٢) لفظ فارسى مركب من كلمتين " در" بمعنى باب و" كاة " بمعنى محل، وهى المساحة الصغيرة المربعة أو المستطيلة التى تلى باب الدخول. أنظر: السيد أدى شير: معجم الألفاظ الفارسية المعربة، لبنان ١٩٨٠م، ص٦٢.

(٢م) وعمقها (نصف متر). يفتح الإيوان على المساحة التى كانت مخصصة للدور قاعة، والمستعملة الآن مع إيوان القبلة كبيت للصلاة بفتحة اتساعها (٨,٢م)، والتى كانت أكبر من ذلك قبل إجراء التعديلات المعمارية فى هذا الأثر، بالإضافة إلى أن الدخول إلى دور قاعة المدرسة لم يكن من خلال المدخل الذى يواجه مدخل المدرسة الرئيسي مباشرة، وإنما كان – على مايبدو- من خلال مدخل منكسر من الدركاة يؤدى إلى دور قاعة المدرسة مجاوراً للإيوان الشمالى الغربى، وهذال الجزء الآن مسدود ومجلد بالخشب، غير أن وجود أجزاء مكشوفة من التجليد يشير إلى هذه النقطة التى ذكرتها، وهذا التخطيط الذى يعتمد على دور قاعة وسطى وإيوانين لم يكن الوحيد فى بداية العصر المملوكى الجركسى، وإنما عاصره نموذج آخر من نفس السنة التى شيدت فيها هذه المدرسة، وأعنى به مدرسة محمود الكردى بالتبانة التى يعود تاريخها إلى سنة (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م).

الدور قاعة: (انظر: المسقط الأفقى شكل ٢٥)

يبلغ طولها (٨,٥م) وعرضها (٥م)، فتح فى الجهة الشمالية الشرقية منها الممر المؤدى إلى دورة المياه، والتى يوجد لها مدخل آخر من شارع الأزهر.

يفتح عليها إيوان الصلاة القبلى والذى يبلغ عرضه (٦م) وعمقه (٦,٥م)، يتصدر حائطه الجنوبى الشرقى المحراب، الذى يتكون من حنية مدببة ترتكز على أعمدة مخلقة مفقودة الآن، وتخطيطه نصف دائرى عمقه (٧٠سم). وقد غطيت جدران المنشأة إلى ما يقرب من منتصفها بالرخام الحديث، وجلدت جدرانها أعلى هذا الجزء الرخامى بالخشب، وسقفت مساحتها جميعاً بالخشب أيضاً الذى يعود للقرن (١٩م). وفتح بالجدار الجنوبى الغربى من إيوان القبة نافذتان اختلفت أعماقها، فالغربية عمقها (٨,١م)، والشرقية (١,١م)، وهذه النوافذ موضوعة من الخارج داخل دخلات حائطية يعلو – فى المستوى الثانى- كل نافذة قندلية بسيطة، وشرفات تؤطر هذه الواجهة (انظر: شكل ١٣، لوحة١٠). وتشير كراسات لجنة حفظ الآثار العربية إلى أن الواجهة المذكورة، وما تم تجديده داخل المنشأة –وماتم اقتطاعه من أجزاءها- قد تم فى فترات مختلفة حديثة نسبياً ، وبمعاينة اللجنة لهذه الأجزاء تبين أن هذه الأجزاء حديثة وأن مايجب الحفاظ عليه من هذه المدرسة المدخل والدركاة والنص الوثائقى المسجل على الحجر أعلى المدخل، فهذه الأجزاء هى الأجزاء الأثرية الباقية من عمارة

المدرسة[1].

الزخارف التى اشتمل عليها مدخل المدرسة:

أ- الزخارف النباتية: تمثلت الزخارف النباتية التى وجدت تزخرف بعض المناطق بمدرسة الأمير مقبل فى الفروع النباتية (الأرابسيك)، وذلك كمهاد للآيات القرآنية المنفذة بالخط الثلث المملوكى داخل شريط الطراز على عضادتى المدخل، وكذلك زخرفت هذه الفروع والأوراق النباتية النفيس الذى يعلو العقد المستقيم فوق المدخل، وقد نفذت هذه الزخارف بالحفر البارز فوق الحجر، وخرجت على نحو من الجمال والإتقان والدقة، غير أن بعض هذه الزخارف التى يضمها طراز المدخل قد سقطت، ويجب الحفاظ على الجزء المتبقى، ومحاولة إعادة الجزء المفقود إلى ما كان عليه فى ضوء الزخرفة والكتابات الباقية.

وهذا النوع من الزخارف عم الكثير من الآثار والتحف الإسلامية فى مختلف العصور الإسلامية وإن كان استعمال الأرابيسك قد بدأ يظهر على التحف من القرن الثالث الهجرى (٩م)، وبلغ قمة تطوره فى العصر الفاطمى، ثم عم انتشاره بعد ذلك كافة الفنون الإسلامية فى العصور التالية[2].

ب- الزخارف الكتابية: تمثلت الزخارف الكتابية فى استعمال خط الثلث المملوكى فى تنفيذ نصوص الوقفية بالحفر البارز على الحجر أعلى المدخل، وكذلك فى تنفيذ بعض الآيات القرآنية داخل شريط الطراز على عضادتى المدخل، وهذه الآيات تم اختيارها من القرآن الكريم للحث على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاه بما نصه (.....وأقام الصلاة وآتى الزكاه ولم يخش إلا الله فعسى أولئك.....)، وهذه الآيات القرآنية الكريمة سقط منها (إنما يعمر مساجد الله من آمن الله واليوم الآخر)، (أن يكونوا من المهتدين) [التوبة:١٨] كما سبق وأن أشرت.

وهذا النوع من الخطوط استعمل فى تنفيذ الكتابات التسجيلية على الآثار منذ القرن (٦هـ/ ١٢م) منافساً بذلك الخط الكوفى، ثم حل محله بعد ذلك فى هذا الشأن، رغم أن الخط الكوفى ظل مستعملاً حتى نهاية العصر الجركسى، فى تنفيذ بعض الآيات القرآنية داخل المنشآت المعمارية وعلى بعض التحف الإسلامية، وأحياناً يجتمع النوعان معاً فى أثر واحد[3].

---

(١) لجنة حفظ الآثار العربية كراسة (١٣٣) لسنة ١٨٩٢م، ص٥٧.

(٢) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص٢٢٦.

(٣) حسين عليوة: الخط، ص٢٧٩.

وبعد، فإن دراسة بقايا هذا الأثر المعمارى الهام قد أسفر عن هذه النتائج:

١) انتماء الأمير مقبل إلى بلاد الروم، مما يشير إلى أنه أمير تركى، استنتاجاً من اسمه المسجل داخل الوثيقة الحجرية أعلى المدخل.

٢) عمل هذا الأمير منضماً إلى الطائفة اليلبغاوية فى وظيفة المشرف على الدور السلطانية فى عهد برقوق.

٣) شغل إلى جانب ذلك وظيفة شيخ مشايخ السادة الخدام بالحرم النبوى.

٤) شيد الأمير مقبل مدرسته لتقوم بمهمة المدرسة من حيث التدريس والتعليم، وبمهمة المسجد تقرباً لله تعالى بحديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذى يقول: "من بنى لله بيتاً بنى الله له بيتاً فى الجنة" حيث نص على ذلك صراحة فى الوثيقة المذكورة.

٥) وقع على المدرسة بعض التأثيرات السورية متمثلة فى المقرنصات التى تتوج حجر المدخل بشكل صدر مقرنص، والتى تمتاز بمسقطها الدائرى والتى تتشابه مع المقرنصات الحلبية أو الشامية، كذلك تمثل هذا التأثير فى استعمال المدخل المقرنص، والذى استعمل فى سوريا قبل استعماله فى مصر بما يقرب من مائة عام.

٦) تشير بقايا المدرسة، والتى جددت فى فترات حديثة إلى أنها كانت تتبع نمط المدراس الإيوانية المكونة من دور قاعة وإيوانين وبعض الملاحق الخدميةالتى تخص الطلبة الدارسين.

٧) نظراً لقيام المدرسة بمهمة المسجد الجامع فقد اوجد المنشئ بها منبراً للقيام بهذه المهمة، بجانب بعض الوظائف التى تخدم هذا الجانب.

٨) اشتملت المنشأة على أول نص وثائقى مسجل على الحجر.

٩) تشير يقايا المدخل، وما ضمه من مقرنصات وكتابات وزخارف نباتية إلى العظمة المعمارية والزخرفية التى كانت عليها هذه المدرسة.

١٠) استعمل الحفر البارز فى تنفيذ الكتابات المسجلة بخط الثلث المملوكى، الذى عم العمائر المملوكية.

** ** ** **

obeikandl.com

الفصل الثالث

مدرسة بيبرس الخياط (٩٢١هـ/١٥١٥م)

بالجوذرية

أثر رقم ١٩١

obeikandl.com

obeikandl.com

ترجمة المنشئ

هو الأمير بيبرس بن عبد الله بن عبد الكريم[١]. جلبه تاجر الرقيق عبد الكريم إلى القاهرة، وعهد به إلى السلطان الغورى لعلمه بقرابته له، أو أنه اشتراه منه نتيجة لهذا السبب. ويشير إلى قرابته للغورى المؤرخ ابن زنبل الرمال فيقول: إن بيبرس هو ابن عم الغورى[٢].

ويشير النص التسجيلي المثبت أسفل سقف إيوان القبلة إلى أن المنشئ كان يعمل خياطاً، وهذه الحرفة رغم أنه قد عمل بها لدى السلطان الغورى[٣] إلا أنها لم ترد ضمن ألقابه ووظائفه التى سجلتها الوثيقة. ولعل شهرته فى هذه الحرفة هى التى جعلته يسجلها ضمن النص التأسيسي دون الوثيقة التى تضم ألقابه ووظائفه.

وقد قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإعادة كتابة هذا النص فى ضوء البقايا التى وجدتها منه، مع تسجيلها لتاريخ المدرسة فى نهاية النص سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٠م) بدلاً من سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م) مقتفية أثر على مبارك فى تأريخه للمدرسة[٤]. مما يؤكد ضياع التاريخ من النص وقت قيام اللجنة بهذا العمل.

غير أن الألقاب الواردة ضمن النص الموجود الآن أسفل سقف إيوان القبلة يتشابه فى الكثير من أجزاءه مع الوارد منها ضمن وثيقة الوقف مما يؤكد سير اللجنة فى تسجيلها لهذا النص على نفس النمسق الذى كان عليه والذى ضاعت بعض أجزاءه بحكم تعرضه للتلف، غير أن الألقاب الفخرية الواردة لا تتفق والوظيفة المسجلة[٥].

وقد أغفلت المصادر التاريخية ذكر التاريخ الذى ولد فيه هذا الأمير، وكذلك التاريخ التى أتى فيه إلى مصر، ومن المحتمل أن يكون هذا الأمير قد أتى إلى مصر قبل عهد الغورى، ثم انضم إليه بعد سلطنته أو أنه اشتراه عقب مقدمه إلى مصر من تاجره وعلى ذلك فإن تحديد تارخ إقامة هذا الأمير فى مصر غير معلوم، ومهما كان الأمر فقد انضم إلى الغورى وجمع بين وظيفته الحرفية كخياط للسلطان ووظيفته العسكرية، فقد أنعم عليه السلطان الغورى فى ربيع

---

(١) وثيقة وقف الأمير بيبرس ٤٧/٣١٣، سطر٣ وجه.

(٢) ابن زنبل الرمال: تاريخ السلطان سليم خان مع السطان قنصوه الغورى، مصر ١٢٧٨هـ، ص١٤.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جـ٨، ص٨٢ حاشية (٤).

(٤) على مبارك: الخطط، جـ٤، ص١٤٤.

(٥) حسن قاسم: المزارات الإسلامية، جـ٥، ص٤١٣.

الآخر سنة (٩١٢هـ/ ١٥٠٦م)، وقرره فى الأميرأخورية[١] من المرتبة الثانية، عوضاً عن "قلج" الذى كان يشغلها وغضب عليه السطان فيمن غضب عليهم من الأمراء[٢] وذلك فى ربيع الآخر سنة (٩١٢هـ) إلى ذى القعدة سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م)[٣].

وبحكم عمل بيبرس فى وظيفة الأميرأخورية من الرتبة الثانية، فقد كان أمير طبلخاناة. والتى شغلها لفترة ليست بالقصيرة، بعدها قلده السلطان الغورى وظيفة أمير مائة مقدم ألف، وقرر بدله فى الأميرأخورية أقباى الطويل[٤].

وفى هذا الشأن تذكر الوثيقة ألقابه الوظيفية بما نصه: "..... بيبرس بن عبد الله من عبد الكريم عين أعيان الأمراء المقدمين الألوف بالديار المصرية"[٥]. وذلك فى ذى القعدة سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م).

ومن ثم فقد بدأ شأن الأمير بيبرس فى الارتفاع حيث عهد إليه فى هذه السنة مهام هذا المنصب الذى يتولى صاحبه قيادة مائة فارس ويتقدم على ألف زمن الحرب. ويبدو عظم شأن هذه الوظيفة من خلال الألقاب المرتبطة بها والواردة فى النص السابق.

وقد تمتع الأمير بيبرس بثقة السلطان الغورى قبل توليته هذه الوظيفة حيث أرسله إلى حلب فى ربيع الأول سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) حاملاً منه رسالة إلى نوابه هناك يخبرهم فيها بضرورة استعدادهم لاستقبال وفود الجيش المصرى لمواجهة خطر الشاه إسماعيل الصفوى الذى أغار على بعض البلاد التابعة للسلطنة المملوكية[٦].

---

(١) من أسماء الوظائف: تتركب من لفظة أمير العربية، ولفظة أخور الفارسية، ومعناها: المعلف، وكان هذا الاسم يطلق على القائم على أمر الدواب من خيل وبغال وإبل وغيرها فى الاسطبلات السلطانية. وهذه الوظيفة كان ترتيبها السادسة بين الوظائف العسكرية الكبرى بقصر السلطان المملوكى وصارت تسند عادة إلى أمير مائة مقدم ألف. أما الأمير أخور الثان الذى شغلها بيبرس فهى وظيفة أقل رتبة من أميرأخور كبير، ويقوم بها أمير من طبقة أمراء الطبلخاناة، مما يفهم منه أن الأمير بيبرس فى سنة (٩١٢هـ، ٩١٣) كان أمير طبلخاناة (يقود أربعين فارس) انظر: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، جـ١، ص١٧٤-١٧٩.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، جـ٤، ص٩٧-٩٩.

(٣) المصدر نفسه: ص٩٨، ٩٩.

(٤) المصدر نفسه، ص١٢٩.

(٥) الوثيقة السابقة: سطر٢، ٣وجه.

(٦) ابن إياس: المصدر السابق، ص١١٨.

وبالفعل خرج الأمير بيبرس لتنفيذ هذه المهمة، غير أن نائب حلب[1] كان قد أرسل إلى السلطان الغورى يخبره بأنه تصدى لجيوش الشاه فهزمهم ورد منهم جموع غفيرة إلى بلادهم، بالإضافة إلى إرساله لعدد من رؤوس القتلى إلى السلطان الغورى الذى أمر بتعليقها على باب زويلة، وقد أدى ذلك إلى إبطاله لقرار خروج الجيش لملاقاة الجيش الصفوى، وعلى ذلك فقد أصبحت مهمة بيبرس هناك الكشف على القلاع، وإصلاح ما ألم بها من عطب حيث مكث هناك ما يقرب من تسعة أشهر من ربيع الأول سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) إلى نهاية شوال سنة (٩١٣هـ)[2].

ويبدو أن هذه المهمة قد تمت بنجاح كبير، حيث سعد بذلك السلطان الغورى مما دفعه إلى ترقيته إلى وظيفة التقدمة. عوضاً عن وظيفته كأمير أخور ثان التى انتقلت إلى أقباى الطويل بحكم انتقاله إلى التقدمة.

ووظيفة التقدمة من الوظائف الهامة فى الجيش المملوكى وهى تعنى: الرئيس أو القائد[3]، والذى كان يقود مائة فارس، ويتقدم على ألف عند الحرب، وقد وصل إلى ذلك بحكم قرابته من السلطان الغورى، وكذلك بحكم نشاطه، ومهارته فى تنفيذ أوامر السطان.

وقد تلقب الأمير بيبرس بألقاب فخرية صاحبت هذه الوظيفة: عين أعيان السادة المقدمين الألوف بالديار المصرية[4] مما يشير إلى أنه فى هذا المنصب قد تمتع بمهابة كبيرة، وبمكانة اجتماعية متميزة وبثراء واسع، وقد استمر الأمير بيبرس يشغل وظيفة التقدمة على مدى ثمانى سنوات متتالية منذ شهر ذى القعدة سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) إلى شهر المحرم سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م).

ولسبب نجهله وتجهله مصادر هذه الفترة تم عزله من وظيفة التقدمة. حيث أصبح من الأمراء المقدمين غير أرباب الوظائف، أى أنه أصبح أمير مقدم فقط. وهذه النص التاريخى الذى ساقه المؤرخ ابن إياس[5] يحتاج إلى وقفة . فمن المعلوم أن الأمير بيبرس قد ترك وظيفة

---

(١) ولى نيلابة حلب فى هذه الفترة على دولات.

(٢) إبن إياس: المصدر نفسه، ص١٢٩.

(٣) حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٣، ص١١٢٠.

(٤) الوثيقة السابقة: سطر٢، ٣ وجه.

(٥) إبن إياس: المصدر السابق، جـ٥، ص٤.

أمير أخور ثان فى شهر ذى القعدة سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م). وانتقل إلى وظيفة التقدمة وانتقلت وظيفته الأخرى إلى أقباى الطويل بحكم انتقاله إلى التقدمة، وظل يعمل بها لمدة ثمانى سنوات دون أن تشير المصادر التاريخية إلى توليه وظيفة أخرى بجانب التقدمة، أى أنه تفرغ تماماً لمهمته العسكرية كأحد أمراء المئين مقدمى الألوف. فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا؟ ذكرت المصادر أنه اصبح من الأمراء المقدمين غير أرباب الوظائف.

ومهما كان الأمر فقد تولى بيبرس بعد ذلك مهمة قيادة أربعين فارساً أثناء السلم، ويتقدم على مائة أثناء الحرب، وهى رتبة أمراء الطبلخانات[١] ويتضح من ذلك أن إمكانيات بيبرس الحربية – فى ذلك التاريخ – لا ترقى لقيادة ألف مملوك، ومن ثم فقد قرر الغورى نزوله عن التقدمة، وتوليه المنصب الجديد وهو أمير الطبلخانات مقدم مائة، ورغم ذلك قد أبقيت الوثيقة على ألقابه الفخرية الخاصة بوظيفته كأمير مائة مقدم ألف[٢].

ألقابه

تلقب الأمير بيبرس الخياط بعدة ألقاب ورد ذكرها ضمن وثيقة وقفه، وكذلك ضمن النص التأسيسى المدون على الإزار الخشبى أسفل سقف إيوان القبلة، وهذه الألقاب هى: "المولوى الأميرى الكبيرى المالكى المخدومى العزيزى الأعزى الأخصى العضدى الذخرى السيفى الملاذى الأوحدى الأجل السيفى بيبرس بن عبد الله من عبد الكريم عين أعيان الأمراء المقدمين الألوف"[٣]. وهذه الألقاب مثبتة داخل الوثيقة بتاريخ ٢٣ ربيع الآخر سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م). وهذه الألقاب اختص بها الأمير بيبرس وقت أن كان يعمل بوظيفة أمير أخور ثان، والتى استمر فيها حتى شهر ذى القعدة سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م).

وبجانب هذه الألقاب أشارت الوثيقة إلى بعض الألقاب الأخرى والمثبتة داخلها بتاريخ عشرين صفر سنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م) وهذه الألقاب هى: المقر الأشرف الكريم العالى المولوى الأميرى الكبيرى العضدى الذخرى الهمامى النظامى السندى المالكى المخدومى السيفى بيبرس بن عبد الله عين السادة الأمراء المقدمين الألوف بالديار المصرية[٤].

---

(١) ابن زنبل الرمال: المصدر السابق، ص٣.

(٢) وثيقة بيبرس ٤٧/٣١٣، دار الوثائق القومية، سطر٥٣٢ وجه.

(٣) وثيقة وقف بيبرس ٤٧/٣١٣، دار الوثائق القومية، سطر٢، ٣ وجه.

(٤) وثيقة الوقف ٤٧/٣١٣ هامش أيمن من السطر ١٨٣–١٨٦ ظهر سطر ٣–٥.

وقد صاحبت هذه الصيغة من الألقاب الأمير بيبرس منذ أنعم عليه السلطان الغورى بوظيفة التقدمة فى ذى القعدة سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م)، وحتى عزله منها فى شهر المحرم سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٥م).

أما النص المثبت على الإيزار الخشبى أسفل سفقف الإيوان القبلى فيشتمل على الألقاب التالية:

"....المقر الأشرف الكريم العالى المولوى الأميرى الكبيرى المخدومى المحترمى السيدى السندى العضدى الذخرى الهمامى العادلى العالى العاملى السيفى بيبرس الخياط..." (انظر: لوحة ٣٤).

وها النص كما أشرت من قبل قامت لجنة حفظ الآثار العربية بإعادة كتابته على نفس النسق القديم، وإن كان يختلف قليلاً فيما تضمنه من ألقاب عن تلك المثبتة فى وثيقة وقفه وإن كانت ألقابه الفخرية التى تضمنتها تصوص وقفياته المثبتة داخل هذه الوثيقة قد ضم كل منها بعض هذه الألقاب[1] المثبتة داخل المدرسة مما يؤكد أن اللجنة قد اعتمدت فى تسجيلها لهذه الألقاب على المتبقى منها داخل المدرسة، وربما كذلك على وثيقة الوقف.

ولما كان النص الوارد داخل مدرسة الواقف قد جمع داخله ألقاب بيبرس الفخرية الواردة ضمن كتب وقفه التى ضمتها وثيقة الوقف، والتى لا تتفق مع الوظيفة التى حرص الكاتب على إثباتها ضمن النص التسجيلى للمدرسة دون الوثيقة؛ لذا فإنى أرى التعرض لهذه الألقاب وتاريخها، ومدى ملاءمتها للوظيفة أو الوظائف التى تقلدها الأمير بيبرس خلال عصر الغورى الذى لمع فيه نجمه، وأيضاً خبأ وهذه الألقاب حسب ترتيبها هى:

المقر

أصله فى اللغة: موضع الاستقرار، وقد استعير فى المكاتبات للإشارة إلى صاحب المكان تعظيماً له عن التفوه بإسمه، وقد صار من الألقاب الأصول فى العصر المملوكى، وقد استعمل هذا اللقب السلطان وكبار الأمراء وأعيان الوزراء من العسكريين، كما استعمله

(١) من ذلك: الهامش المذكور المتضمن لكتاب وقفه من السطر ١٨٣-١٨٦ ظهر بنفس الوثيقة السابقة والمؤرخ عشرين صفر سنة (٩١٩هـ/١٥١٣م) حيث تشابهت الألقاب الواردة به مع النص المثبت داخل المدرسة، وإن اختلفت بعض مواضع الألقاب، ولم يوجد بعضها.

المدنيين ورجال الدين[١].

الأشرف

أفعل التفضيل من شريف بمعنى عال، وهو من الألقاب التوابع المتفرعة على الألقاب الأصول وهو أعلاها فى مصطلح دساتير الألقاب فى عصر المماليك، ودونه الشريف ثم الكريم ثم العالى ثم السامى، ونظراً لعلو هذا اللقب فإنه يتفرع على أعلى الألقاب الأصول مثل المقر والمقام[٢].

الكريم

هو الخالص من اللؤم، وكان يطلق كلقب فخرى على العسكريين والمدنيين على السواء، وكان أحد التوابع المباشرة للألقاب الأصول[٣].

العالى

من الألقاب الفروع وربما سبق بلقب تابع آخر مثل: الأشرف والكريم والشريف فى حالة الألقاب الأصول الأخرى فيقال: المقر الأشرق الكريم العالى[٤] كما هو الحال فى هذا النص.

المولوى

يطلق فى اللغة: على السيد وعلى المملوك والعتيق، وقد استعمل كلقب بمعنى السيادة، وقد استعنل اللقب للسلاطين كما استعمله كبار رجال الدولة فى العصر المملوكى، فقد اصطلح كتاب المماليك على وضع لقب المولوى فى سلسلة الألقاب قبل اللقب الدال على الوضع دلالة خاصة[٥] كما هو الآن فى نص ألقاب الأمير بيبرس.

الأميري

سبق التعرض له عند تناول ألقاب الأمير مقبل الزمام[٦]، وهو يشير إلى الرتبة التى ينتمى

---

(١) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٤٨٩-٤٩٤.

(٢) المرجع نفسه: ص١٦٠.

(٣) المرجع نفسه: ص٤٣٧.

(٤) المرجع نفسه: ص٣٩٠

(٥) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٥١٦-٥١٩.

(٦) انظر الفصل الثانى من الباب الثانى.

إليها بيبرس.

الكبيرى

عكس الصغير، والمقصود منه: رفيع الرتبة، فكان كثيراً ما يلحق الكبير بلقب الأمير حتى لقد اعتبر بعض الكتاب اللقبين وحدة لقبية فخرية، وقد استعملت النسبة منه، وعنى كتاب المماليك بهذه الصفة وبينوا ترتيبها فى سلسلة الألقاب فوضعوها تلو لقب التميز، أى اللقب الدال على الوظيفة[١].

المخدومى

من الألقاب الرفيعة التى تلقب بها الأمير بيبرس إذ يشير إلى أن الملقب فى درجة تؤهله لأن يكون مخدوماً لعلو رتبته وسمو محله، وشاع هذا اللقب مضافاً إليه ياء النسبة بخصوص الأمراء[٢].

العزيزى

من الألقاب التى تجرى مجرى التشريف وهو يشير إلى درجة بيبرس لدى السلطان الغورى، وذلك لاقتران اللقب بياء النسبة، وهو من الألقاب النادرة التى اقترنت بياء النسبة[٣].

الأعزى

لقب فخرى جاء تابعاً للعزيزى لتأكيد مكانة بيبرس لدى السلطان الغورى، فهو أعز مضافاً إليه ياء النسب لتمنع العز على غيره.

الأخصى

مأخوذ فى اللغة من الخصوصية ومعناها: الإنفراد بالشيء، وقد استعمله الكتاب فى عصر المماليك لأدنى الطبقات من رجال الجيش على الر غم من أنه سامى المعنى[٤]، غير أن الأمير بيبرس لم يكن من تلك الطبقات، بل كان احد مقدمى الألوف، وهى رتبةكبيرة فى الجيش المملوكى، وربما استعمل هذا اللقب للدلالة على اختصاص الغورى به فهو من أقرباءه (ابن

---

(١) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص٤٣٦.

(٢) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص٤٦٤.

(٣) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص٤٠٢.

(٤) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص١٣٧.

عمه).

العضدى

العضد فى اللغة: اسم للساعد، واستعمل ليدل على المعين والمساعد لقيامه من المساعدة مقام العضد الحقيقى من الإنسان[١]، وقد ورد مضافاً إليه ياء النسب ليشير إلى أنه كان عضد الغورى فى هذا المنصب الذى شغله كل فترة من فترات حياته الوظيفية.

الذخرى

الذخر فى اللغة: لما يذخر من النفائس، وقد غلب استعماله فى هذا العصر كلقب فخرى للعسكريين[٢] كما هو الآن.

السيفى

لقب خاص بالعسكريين؛ ولذلك لمناسبته لحالهم من حيث رغبتهم فى الانتساب إلى القوة والشدة[٣].

الملاذى

فى اللغة: بمعنى الملجأ، وقد استعمل بصيغة الإضافة إلى ياء النسب، وقد استعمل هنا كلقب من ألقاب العسكريين[٤] ليكون بذلك دالاً على ماتمتع به بيبرس من مهارة قتالية أدت إلى تلقبه بهذا اللقب، وليس معنى مهارته القتالية اشتراكه فى المعارك وإنما قد يكون فى قيادته لفرقته وتدريبه لهم، ورغم ذلك فقد شارك أيضاً فى معركة الغورى مع ابن عثمان لكنه فى هذه المعركة لم يكن سوى مقدم لأربعين فارساً سلماً ومائة حرباً.

الأحدى

اللقب يشير إلى أن الملقب قد وصلت إلى مرتبة متميزة بين أفراد طائفته[٥]، وبالفعل فقد كان يلقب بعين أعيان السادة الأمراء مقدمى الألوف.

---

(١) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص٤٠٣.

(٢) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص٢٩٢.

(٣) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص٣٤١- ٣٤٥.

(٤) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص٤٩٥

(٥) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص٢١٧، ٢١٨.

الأجل

أفعل التفضيل من جليل بمعنى عظيم، وكان يطلق على السلاطين، كما أطلق على أمراء الجند غير أنه هنا عرض بصيغة فريدة، فقد ورد بعد لقب الأوحدى، وقبل لقب السيفى الذى أتى بعده اسم الأمير بيبرس، فى حين أن هذا اللقب كان يستعمل مع المجلس السامى ومع الأمير، والقاضى، والشيخ، والصدر. أى الألقاب الأصول، وليست الألقاب الفرعية أو الفخرية كما هو الآن فى هذا النص(١).

السيفى

هذا هو ثانى لقب فخرى للأمير بيبرس يتضمنه هذا النص الوثائقى إذ يشير الأول إلى أن الملقب كان من طبقة الأمراء العسكريين، أما الثانى فيشير إلى أن الأمير بيبرس كان اسمه سيف الدين بيبرس بن عبد الله من عبد الكريم(٢).

وقد استمرت مع الأمير بيبرس بعض الألقاب مثل لقب المالكى منذ سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) وهو تاريخ منحه وظيفة التقدمة، أما لقبى الهمامى والنظامى والذى ورد الأول بالنص التسجيلى بالمدرسة فقد أشارت الوثيقة إلى تاريخهما وهو (٩١٨هـ/ ١٥١٢م)(٣)، وبتفسيرهما يمكن الوقوف على السبب فى منحهما له.

الهمامى

الهمام: هو الشجاع، وقد استعمل هذا اللقب مضاف إليه ياء النسب العسكريين فى عصر المماليك(٤).

النظامى

النظامى: هو صورة الاجتماع والالتئام، وقد استعمل اللفظ بياء النسب كلقب للوزراء ومن فى معناهم فى عصر المماليك(٥).

---

(١) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص١٢٦ – ١٣٤.

(٢) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص١٠٨.

(٣) وثيقة ٤٧/٣١٣ هامش رقم (٢) يبدأ من السطر ٢٢٦ وجه سطر ١.

(٤) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص٥٣٧.

(٥) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص٥٣٣.

obeikandi.com

المالكى

المالك خلاف المملوك، وقد استعمله العسكريين فى العصر المملوكى مضاف إليه ياء النسب[1].

ويشير اللقب الأول والثانى إلى أن الأمير بيبرس قد أدى بعض المهام بنجاح مما جعل الغورى يعجب به، فمنحه هذه الألقاب الدالة على الشجاعة، وعلو المكانة.

وفى سنة (٩٢١هـ) وبالتحديد فى عشرين شوال المبارك أشارت الوثيقة إلى اشتمال ألقابه على ما يفيد نسبته إلى السلطان الغورى، وهى: لقبى المالكى والأشرفى بعد اللقب الدال على الوظيفة[2].

وفى هذا التاريخ حجبت عنه بعض الألقاب مثل: الهمامى، النظامى، الذخرى، العزيزى، الأعزى، الأخصى، الملاذى، الأوحدى، الأجل. واضيف إليه السندى بعد الكبيرى وقبل المالكى وهذا اللقب قد اشتمل عليه النص التأسيسى بالمدرسة. أما الألقاب التى اشتمل عليها نص المدرسة، ولم تضتضمنها كتب الوقف داخل الوثيقة فهى: المحترمى، السيدى، العادلى، العاملى، العالمى، وكذلك اللقب الوظيفى الدال على مهنته وهو«الخياط». فهذه الألقاب والمهنة لم يتضمنها أى من كتب الوقف المشتملة عليها الوثيقة، ولا أعلم كيف تمت كتابتها ربما أن الجزء الخاص بها قد طمس تماماً فما كان من اللجنة إلا إضافة هذه الألقاب وفقاً لما هو شائع عن ألقاب الأمراء فى ذلك العصر، غير أنها تناست أن هذه الألقاب الفخرية العظيمة التى تلقب بها هذا الأمير لا تنطبق على وظيفة «خياط»، والتى كان الأحرى بها إضافة لقب جمدار ليتوازن مع الألقاب السابقة عليه، غير أن علم القائم بأمر تسجيل هذا النص بأن صاحب هذه المدرسة قد عمل خياطاً خاصاً للسلطان الغورى[3]. قد أغراه فى الوقوع فى هذا الخطأ، على الرغم من أن بيبرس قد عمل فى وظيفتين أخريين هما: الأمير أخورية الثانية، والتقدمة وعلى ذلك فإن الوظيفة التى يجب تسجيلهاى بعد الإسم هى: "أحد أعيان مقدمى الألوف بالديار المصرية "وفقاً لألقابه ووظائفه الواردة ضمن وثيقة وقفه.

---

(١) حسن الباشا: المرجع نفسه،ص٤٤٤.

(٢) الوثيقة نفسها: سطر ٤٠٢، ٤٠٣ وجه.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، جـ٨، ص٨٢، حاشية (٤).

ومن خلال استعراض ألقاب بيبرس ووظائفه يتبين الآتى:

١) أن بعض هذه الألقاب قد منحت له عند توليه وظيفة التقدمة. وسارت معه حتى تاريخ عزله منها.

٢) اشتملت نصوص كتب الوقف الواردة بالوثيقة على بعض الألقاب التى تتفق مع ما هو مسجل داخل النص التأسيسي بالمدرسة، وتختلف بعض الألقاب المسجلة داخل نص المدرسة عن تلك الواردة فى الوثيقة، مما يجعلنى أرجح أن اللجنة قد سجلت النص داخل المدرسة فى ضوء بقاياه، ولما كانت بعض أجزاءه قد طمست فإنها اعتمدت فى كتابتها على الشائع منها لدى أمثاله من الأمراء.

٣) كذلك فإن ألقابه تشير إلى علو قدره ومنزلته لدى السلطان الغورى وإن اختلفت هذه المنزلة بمرور الزمن، وهو مالا يتفق مع الوظيفة الواردة بالنص التأسيسى بالمدرسة.

أسرته

تزوج الأمير بيبرس من السيدة المصونة الكبرى المحجبة ذات الحجاب المنيعة[١] والستر الرفيع[٢] "جان سكر" ابنة عبد الله الجركسية الجنس[٣] عتاقة المقر المرحوم إينال الخسيف[٤].

وتشير الوثيقة إلى أن الواقف الذى هو زوجها قد رزق منها بالشهابى أحمد قبل سنة (٩١٨هـ/ ١٥١٢م)[٥]، وهو العام الذى سجل فيه بعض أوقافه ضمن أحد فصول الوقف التى تضمها الوثيقة، وهو الابن الوحيد الذى أشارت إليه الوثيقة، ويبدو أن هناك أبناء آخرين لم تشر إليهم المصادر التاريخية، غير أن الوثيقة تشير إلى أن الواقف قد ذكر ما يفيد اشتراك ابنه فى الوقف مع ما سيرزق به من أبناء من زوجته المذكورة بعد سنة (٩١٨هـ/ ١٥١٢م)، تلك السنة التى تشير إلى حداثة سن ابنه أحمد إذ تشير عبارة "الذى رزقه منها" إلى قرب ولادته من

---

(١) الحجاب المنيع: هو الستر، وهو من ألقاب النساء، والمنيع وصف له. انظر: حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٣١٧.

(٢) الستر فى اللغة: بمعنى الستارة، وقد استعمل كلقب للتعبير عن الخليفة ثم أطلق كلقب أصل للإشارة إلى المرأة الجليلية.

(٣) الوثيقة السابقة، سطر ٤٩٥، ٤٩٦ وجه.

(٤) هو أحد مماليك الأشرف السلطان قايتباى، وللاستزادة عنه انظر: السخاوى: الضوء اللامع، المجلد الأول، جـ٢، ص٣٢٧.

(٥) الوثيقة نفسها، سطر١٧٢، ١٧٣، هامش رقم (٢) يبدأ من السطر ٢٢٦، وجه سطر ١٨.

تاريخ تسجيل الوقف، وهذا وذاك يشير إلى أن الواقف قد رزق من زوجته عدداً من الأولاد تركهم صغاراً إذ أنه قتل فى ساحة الوغى سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، وبؤكد ذلك على مبارك إذ يذكر أن تربته التى شيدها ضمن مدرسته قد اشتملت على قبر لزوجته وآخر لأولاده[١]. (بصيغة الجمع).

آثاره المعمارية – أوقافه

تشير الآثار المعمارية الخاصة بالأمير بيبرس إلى ثراءه العريض، فقد درست معالم منشآت عديدة شيدها هذا الأمير، غير أن وثيقة وقفه قد احتفظت بأوصافها وأماكنها ومن ذلك:

١) قصر خصص لسكناه، وكان يقع على يسار السالك من البندقيين (شارع بيبرس الآن) إلى سيدى حبيب، وقد اشتمل هذا القصر على أواوين وسدلات، ومطبخ ومنافع ومرافق، واسطبل أسفل ذلك، وهذا القصر كان يجاور المدرسة التى شيدها بالجوذرية (أنظر: خريطة ش٨)، وقد غشى القصر بالرخام الملون، وغطيت الأرضيات بالبلاط، وفتحت به الشبابيك والقمريات وعلق على أواوينه الكريديات[٢] إلى غير ذلك من أساليب العمران فى ذلك العصر[٣].

٢) ربع سكنى، وعرف بالربع الأبيض، شيده على قطعة أرض بجوار الجامع الحاكمى بالجهة القبلية منه على مساحة قدرها ٣٤×٢٤ (أربعة وثلاثون ذراعاً طولاً × أربعة وعشرين ذراعاً عرضاً)[٤].

٣) تربة الدفن: شيدها الواقف بمدينة القاهرة داخل باب النصر بجوار الجامع الحاكمى شيدها فوق قطعة أرض مساحتها أربعة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع طولاً، وعرضاً تسعة عشر ذراعاً، وقد اشتملت هذه القبة على واجهة مبنية بالحجرالفص النحيت[٥] بها باب مقنطر[٦] يؤدى إلى دهليز يؤدى إلى سبيل علو الصهريج أنشاه الواقف ووقفه على التربة، التى

---

(١) على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٤، القاهرة، ص١٤٤.

(٢) الوثيقة السابقة: سطر ٧٢ وجه.

(٣) انظر: الفصل الثلث منالباب الثالث.

(٤) الوثيقة نفسها: سطر ٤٧ وجه.

(٥) انظر: معجم المصطلحات رقم (٩).

(٦) انظر: معجم المصطلحات رقم (٨).

هى عبارة عن ساحة بصدرها إيوان به ثلاث فساقى معدة لدفن الأموات نقياً على مربعات[١] مسبلة الجدر بالبياض مفروشة الأرض بالبلاط، وتم تشييدها مع الربع الأبيض فى جمادى الأول سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م)[٢].

فقعد بيبرس داخل قصره بالجوذرية، وقد عمره الواقف داخل هذا القصر، وكان يشتمل على ثلاث قواصر[٣] معقودة بالحجرالفص النحيت على عامودين من الرخام، كسيت أرضيته بالبلاط، وسبلت جدره بالبياض وسقف نقياً مدهون بأنواع الدهان على مربعات، له درابزين خشب خرط، ويشتمل هذا المقعد على بيت لطيف يتوصل إليه من خلال باب مربع يختص بهذا المقعد، فرشت أرضية هذا البيت اللطيف بالبلاط. وسبلت الجدران بالبياض وسقف كافوريا[٤] على مربعات، ويضم هذا البيت شباك حديد بخركاه[٥] يطل على الدوار (القصر)، بجانب بعض المرافق والمنافع والحقوق، بالإضافة إلى شباك راجعى بخركاه يطل على القصر، وتسع قمريات من الزجاج الملون[٦].

وقد أنشأ الواقف أسفل المقعد المذكور بعض الملحقات الخدمية مثل الطبلخاناة والفراشخاناة، والمنافع الأخرى[٧].

وقد اشتملت الجهة البحرية من القصر على حوض سبيل وبناء أوجده يتصل بحوض السبيل، وثلاثة أبواب مربعة تؤدى إلى اسطبل، وسلم يؤدى إلى طبقة ثم إلى بابين أحدهما يؤدى إلى طبقتين بكل منهما خزانة[٨] ومنافع أخرى.

طباق المماليك والطبلخاناة، وقد شيدها الأمير بيبرس بجوار قصره الكائن بالجوذرية، وكانت الطباق والطبلخاناة تشتمل على واجهة بها بابان أحدهما مقنطر يؤدى إلى اسطبل الخيل سده الواقف وجعل الوصول إلى هذا الاسطبل من خلال قصره، أما الباب الثانى فقد

---

(١) انظر: معجم المصطلحات رقم (٢٩).
(٢) الوثيقة السابقة: ٥١ وجه.
(٣) انظر: معجم المصطلحات رقم (٢٠).
(٤) انظر: معجم المصطلحات رقم (٢٨).
(٥) انظر: معجم المصطلحات رقم (١٥).
(٦) الوثيقة نفسها: سطر ٨١ وجه.
(٧) الوثيقة نفسها: سطر ٨٢ وجه.
(٨) الوثيقة نفسها: سطر ٨٦ وجه.

جعله الواقف يؤدى إلى طبلخاناة خاصة، وصار يتوصل إلى طباق المماليك من استطراق يؤدى إليه باب مربع به سلم يؤدى إلى ذلك[١]، من داخل القصر، ويرجح أن يكون هذه الطباق الأربع المخصصة لسكنى مماليك الأمير بيبرس قد كان لها باب خارجى لاستخدامهم .

حمام شيدها الواقف بجوار مدرسته بالجوذرية فى سنة (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)[٢].

مغسل وحوض، وحاصل وبئر وساقية شيدها الواقف قريباً من قصره، واستعمله لنظافة خيله التى خصص لها اسطبلاً أسفل قصره، على قطعة أرض مساحتها عشرة أذرع × خمسة عشر ذراعاً عرضاً (١٠ × ١٥)، أما الحاصل والحوض والبئر فخصصت كمرافق ومنافع لهذا المغسل[٣].

حوش شيده الواقف بخط اللوق السعيد، بعد أن اشتراه حيث يعود تاريخ تشييده إلى عام (٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)، كان يشتمل على واجهة مبنية بالحجر المكسور والطوب الأحمر، بها باب يؤدى إلى دهليز مسقف غشيماً يؤدى إلى حوض مكشوف يشتمل على عشرين مخزناً[٤]، ويبدو أن هذه المخازن قد خصصت للإيجار للنتفاع بريعها والصرف منها ىعلى منشآته المعمارية التى شيدها.

مدرسة بخط الجوذرية شيدها سنة (٩٢١هـ/ ١٥١م) تشتمل على إيوانين وسدلتين، وقبة ضريحية، ومدخلين ومنارة مفقودة، وميضأة هى التى تبقت من منشآته المعمارية والتى أفرد لدراستها الصفحات التالية:

أما أوقافه فكانت عبارة عن:

جميع البناء الكائن بخط قنطرة الأمير حسين – مواجهة مديرية أمن القاهرة - بالقرب من غيط العدة وخليج المرخم الذى كان ساحة تعرف بالمنشر والآن – زمن الواقف - مناخ يشتمل على بئر ماء معين ومتين ومنافع وحقوق[٥].

جميع أنشاب البستان الخارجى الكائن بأراضى الفيوم بجوار سوق البقر بناحية منية السيرج

---

(١) الوثيقة السابقة: سطر٩٩ وجه.

(٢) الوثيقة نفسها: سطر ١١٤-١٣٠.

(٣) الوثيقة: سطر ١٣١-١٣٧.

(٤) الوثيقة نفسها: هامش طولى رقم (٣) من سطر ١٩٧-٢٢٥ وجه سطر ٢٦.

(٥) الوثيقة نفسها: سطر ١٨٥ ظهر.

المعروف ببستان الصيرفى قديماً وما به من أنشاب البلح المثمر وغير المثمر والأبنية وغيرها[١].

وجميع الحصة التى قدرها نصف قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً من أراضى ناحية بهناى الغنم بالمنوفية[٢].

وجميع الحصة التى قدرها عشر واحد من عشرة أعشار وهى حصة من أصل عشر حصص شايعاً ذلك بأراضى ناحية منية المخلص بالغربية[٣] وقد تم شراء ذلك فى ٢٠ صفر سنة (٩١٩هـ/ ١٥١٣م) وقد خص الواقف منشأته المعمارية بهذه الأوقاف التى تدر بعض الرّيع بجانب تلك التى أنشأها داخل القاهرة من الربع الأببض، والسبيل، والرواق الذى يعلوه، والطباق التى شيدها والحوش الذى شيد به المخارزن، كل ذلك قد خصصه للصرف منه على أرباب الوظائف بمدرسته وقبته وسبيله لبقاء منفعتها وكذلك للصرف على منشآته المعمارية وصيانتها.

وفاته

لم تذكر المصادر تاريخ ميلاد هذا الأمير، إلا أنها أشارت إلى تاريخ وفاته، فضلاً عن إشارة الوثيقة إلى انه شيد لدفن جثمانه – بعد وفاته – قبة للدفن أطلقت عليها الوثيقة اسم "تربة " بها فساقى للدفن، وكذلك قبة ملحقة بمدرسته بالجوذرية، ولكنه شاء له القدر أن لا يدفن فى أيا منها، فقد قتل أثناء خروجه مع السلطان الغورى للحرب ضد العثمانيين وذلك فى ساحة الوغى بالشام سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)[٤]. وعلى ذلك فقد اتخذت زوجته وأولاده القبة الملحقة بمدرسته مدفناً لهم بعد وفاتهم، أما التربة التى هىعبارة عن إيوان به ثلاث فساقى دفن، فمن المحتمل أن تكون قد خصصت لدفن أموات المسلمين، بعد أن قدر له الله ألا يدفن فى تربته أو قبته المشيدة لهذا الغرض.

---

(١) الوثيقة نفسها: سطر ١٩٠-١٩٢ظهر.

(٢) الوثيقة نفسها: سطر ١٩٦ ظهر.

(٣) الوثيقة السابقة: سطر ٢٠١.

(٤) إبن إياس: المصدر السابق، جـ٥، ص٧٠، حيث أشار إلى ذلك بقوله: إنه لمل قتل الغورى وعلم عسكر إبن عثمان ذلك زحف عسكرهم على ممن كان حول السلطان فقتلوا الأمير بيبرس احد المقدمين قريب السلطان، وذلك فى شعبان (٩٢٢هـ/١٥١٦م).

تاريخ المنشأة وماهيتها المعمارية

الموقع

شيدها الأمير بيبرس على رأس حارة الجوذرية بأول خط سيدى حبيب الذى كان يعرف منذ العصر الفاطمى بخط الملحيين[١]، وهذا الموقع الذى شغلته المدرسة البيبرسية فى العصر الجركسى يشير إليه محقق كتاب النجوم الزاهرة على انه هو نفسه موقع المدرسة الشريفية التى شيدها فخر العرب ثعلب فى العصر الأيوبى داخل الجوذرية، معتمداً فى ذلك على ما ذكره المقريزى عن موقع هذه المدرسة برأس حارة الجوذرية بدرب كركامة[٢].

والواقع أن الخط الذى شيدت على رأسه المدرسة البيبرسية لم يطلق عليه فى أى مرحلة زمنية اسم" درب كركامة "، فضلاً عن لأنه أحد الأخطاط الكبرى المتفرعة عن حارة الجوذرية من الشرق إلى الغرب، والذى كان من ضمن عناصره التخطيطية بعض الدروب، وعلى ذلك فإن درب "كركامة" يكون موضعه جهة أخرى من حارة الجوذرية.

وبالبحث تبين أن موقع جامع العربى الذى شيد فى العصر العثمانى يحتل رأس حارة الجوذرية الشمالى داخل شارع أطلق عليه عدة مسميات: منها سكة الشرايبى فى العصر العثمانى.

مما يؤكد أن هذه السكة هى نفسها "درب كركامة"، وبالتالى فإن موقع جامع العربى هو نفسه موقع المدرسة الشريفية، ويؤكد ذلك على مبارك فى خططه[٣]، وحسن قاسم الذى أشار إلى بعض الآراء التى تؤكد أن سكة الشرايبى هى نفسها درب كركامة[٤]، فضلاً عن ذلك فإن البحث فى وثائق العصور الوسطى والحديثة – على كثرتها - لم يرد بها ذكر يفيد فى اعتبار خط سيدى حبيب هو نفسه خط درب كركامة، مما يجعلنى أقرر أن موضع المدرسة البيبرسية لم يكن للمدرسة الشريفية بل هو موقع جامع العربى.

---

(١) الوثيقة السابقة، ٤٧/٣١٣، سطر ٢٤٥.

(٢) المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٧٣.

(٣) على مبارك: الخطط، جـ٦، ص٤٧، ٤٨.

(٤) حسن قاسم المزارات الإسلامية، جـ٥، ص١٥٩، ١٦٠.

تاريخ البناء

أرجع على مبارك هذه المدرسة إلى العصر المملوكى البحرى وبالتحديد سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)[١] دون أن يذكر دليله على ذلك من المصادر التاريخية المعاصرة، أو النصوص التأسيسية، التى غالباً ما تضمنها منشآت ذلك العصر.

والواقع أن هذا التاريخ لا يتفق والحقيقة سواء من ناحية المصادر التاريخية أو النمط المعمارى الذى شيدت عليه هذه المدرسة.

فمن ناحية المصادر التاريخية يذكر ابن إياس أن هذه المدرسة قد اكتمل بناؤها فى رمضان سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٦م)، "وجاءت فى غاية الحسن والظرف، وخطب بها فى ذلك الشهر"[٢].

كذلك فقد أشارت وثيقة وقفه إلى تاريخ الانتهاء من كتابة وثيقة الوقف وهو ٦شوال سنة (٩٢١هـ/ ١٥١٦م)[٣]. مما يؤكد تاريخ تشييد المدرسة الذى أورده ابن إياس.

أما التخطيط المعمارى لهذه المدرسة فهو عبارة عن دور قاعة وسطى يفتح عليها إيوانان فى الجهتين الجنوبية الشرقية، والشمالية الغربية وهما أكبر مساحة من الآخرين يفتحان عليها فى كل من الجهة الجنوبية الغربية، والشمالية الشرقية، وهذا النظام يطلق عليه اسم النظام المعمارى المتطور[٤] الذى مرت به المدرسة خلال عصورها المتعاقبة، وهذا النظام لا يتفق مع نظام تخطيط المدرسة فى العصر المملوكى البحرى ذلك العصر الذى امتازت مدارسه بكبر مساحتها وبكشف صحونها، وكذلك أواوينها الأربعة، مثل مدرسة السلطان حسن وغيرها، مما يتأكد معه إرجاع هذه المدرسة إلى العصر الجركسى الذى يتفق فيه نظام تخطيط المدرسة مع هذه المدرسة، فضلاً عن ذلك فإن النص التاريخى دليل دامغ لا يرقى إليه شك، وعلى ذلك تم استبدال تاريخ (٦٦٣هـ) الذى أثبتته اللجنة بتاريخ سنة (٩٢١هـ) بعد أن تأكدت من ذلك[٥].

ماهية المنشأة المعمارية

---

(١) على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٤، ص١٤٤.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق، جـ٤، ص٤٧٧.

(٣) وثيقة الوقف ٤٧/٣١٣ سطر ٤٨٧ وجه.

(٤) مصطفى نجيب: نظرة جديدة على النظام المعمارى للمدارس المتعامدة خلال العصر المملوكى، مجلة كلية الآثار، الكتاب الذهبى، القاهرة ١٩٧٨م، ص٢١.

(٥) ملف الأثر ١٩١/١٢٣ التقرير الفنى ١٩١/٦٧٦/٥/١٢/١٩٣٣م.

تشير وثيقة وقف هذه المنشأة إلى الهدف من تشييدها، حيث تذكر أنها شيدت بقصد استعمالها كمدرسة[١] ومسجداً وجامعاً، حيث ورد النص التالى داخل الوثيقة الذى يشير إلى ذلك بما نصه: " ..... وقفها مسجداً لله جامعاً ومعبداً لله واسعاً تتوالى فيه الجمعات والجماعات وتتكرر فيه الخطبة والصلوات، وتتلى فيه الآيات وآذان لكافة المسلمين بالصلاة والاعتكاف فيه والتردد إليه والعبادة فى جوانبه ونواحيه "[٢].

ويمكن استنتاج بعض المعلومات التى تشير إلى وظائف المنشأة والواردة ضمن هذا النص، فقد شيدت كمدرسة وقفها لله مسجداً جامعاً لإقامة الصلوات والجمع والجماعات، فضلاً عن استخدامها كمقر للاعتكاف والعبادة فى جوانبه ونواحيه، وهذه الاستخدامات أشارت الوثيقة إلى أماكنها من حيث التخطيط العام لهذه المنشأة، فقد ذكرت أن الواقف أنشأ هذا المكان الذى اشتمل على مدرسة ومنارة وميضأة وغير ذلك[٣].

وهذا النص يشير إلى أن المكان المشيد قد اتبع فى تخطيطه تخطيط المدارس المعاصرة والسابقة، إذ تشير عبارة " ... إنه اشتمل على مدرسة " إلى ذلك، وكذلك تشير إلى قيام المنشأة بمهمة التدريس وإن كان التدريس بها قاصراً على الطلبة الصوفية الذين عينهم الواقف بهذه المنشأة –لهذا الغرض– ويؤكد ذلك النص الذى أثبت أسفل سقف إيوان القبلة والذى يتفق مع ما ورد عن ذلك ضمن وثيقة الوقف، وهذا التخطيط الذى يتفق مع المهمة التى تقوم بها المنشأة تختلف مع وظيفتها الأخرى كمسجد جامع تقام فيه الصلاة والجمع والجماعات، حيث أضاف الواقف للمنشأة بتخطيطها المدرسى منبر ومنارة للقيام بمهمة المسجد، والمسجد الجامع والذى يختلف تخطيطه عن تخطيط المدارس، ورغم ذلك فقد أدت المنشأة بتخطيطها المشار إليه مهمة المدرسة ومهمة المسجد والمسجد الجامع مسايرة من المنشئ لروح العصر[٤]، وكذلك المساحة المتاحة التى شيدت فوقها المنشأة. ومهما كان الأمر فقد قامت المنشأة بدور المدرسة، حيث خصص الواقف لهذا الغرض عدد من الطلبة الصوفيين يتعلمون التصوف من خلال

---

(١) الوثيقة ٤٧/٣١٣ سطر ٢٤٦.

(٢) الوثيقة نفسها: سطر ٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) الوثيقة نفسها: سطر ٢٤٦.

(٤) حسن الباشا: دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعمارى للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد، مجلة كلية الآثار، العدد الثالث، ١٩٨٩م، ص٥٦.

شيخ عينه لهذا الغرض، وقد ساعد تخطيط المنشأة المتعامد للقيام بهذه المهمة؛ حيث خصص الإيوان القبلى لأداء الصلوات وأما الإيوان المواجه والسدلتان، فقد خصصت للنهوض بالعملية التعليمية فضلاً عن الاعتكاف والعبادة.

كذلك فقد قامت المنشأة أيضاً بدورها كمسجد جامع؛ حيث يتأكد ذلك من خلال الوظائف الواردة داخل الوثيقة، والتى خصصها الواقف لإقامة الشعائر داخل المنشأة كالإمام والخطيب والمرقى والتى سيأتى ذكرها فضلاً عن إضافة عنصر المنبر والمئذنة بالمنشأة والذى يشير وجودها إلى ذلك.

الوصف المعمارى والتحليلى للمنشأة

الواجهات

لهذه المنشأة ثلاث وجهات أهمها: الواجهة الجنوبية الشرقية، وواجهة شمالية شرقية، وأخرى جنوبية غربية وهما واجهتان بسيطتان؛ لذلك أيدا بوصف الواجهة الرئيسية وتطور عناصرها المعمارية التى تضمها:

١) الواجهة الجنوبية الشرقية (ش٢٦)

تبدأ هذه الواجهة من الشمال بواجهة القبة، وبجوارها واجهة الإيوان القبلى ثم كتلة المدخل:

أ- واجهة القبلة (لوحة ١٦، ١٧)

يبلغ عرض هذه الواجهة (١٥,٩م) يزخرفها حنيتان رأسيتان ترتفع كل منهما عن مستوى أرضية بالشارع بمقدار (٧٥سم)، ويبلغ عرض كل منهما (١,٥م) وارتفاعها (١٢م)، فتح بالمستوى السفلى لكل منهما شباك ارتفاعه (٢,٥٥)، وعرضه (١,٠٥م). يرتكز كل شباك منهما على عتب من صنجات معشقة عددها ست صنجات، ويعلوه أيضاً عتب من صنجات معشقة ارتفاعها (٧٥سم) عددها أيضاً ست صنجات، يعلو هذا العتب عقد عاتق من صنجات معشقة عددها ست صنجات يعلو ذلك فى كل حنية بحر مربع خال من الزخرفة.

يعلو كل شباك من السابقين قندلية بسيطة مؤطرة بجفت حجرى بارز، وهذه القندلية يبلغ ارتفاع كل منها(٣,٣٠) يغشى الفتحات المستطيلة المعقودة التى تعلو كل اثنين منها ساتر من السلك. يتوج الحنايا الرأسية المذكورة صدر مقرنص من ثلاثة صفوف فى كل حنية يزخرف

المساحة المحصورة بين القندليتين "عين ثور" محاطة بإطار من الحجر الذى يكون أربع ميمات باتصالها مع دائرة العين المذكورة، ويبلغ طول ضلع المربع الحجرى الذى يحيط بهذه العين(٢,٢٥).

ترتد واجهة القبة من أعلى ليبدأ بعد ذلك مربع القبة الذى يتوسط كل من أضلاعه قندلية مركبة محاطة بإطار مزدوج من الجفت الحجرى، ويبلغ ارتفاع هذا المربع(٤,٩٥م) يتحول هذا المربع إلى بدن دائرى بواسطة مثلثات كروية خارجية، تقوم عليه الرقبة الدائرية التى فتح بها ست عشرة نافذة معقود عليها ستائر من السلك، وهذه الرقبة ارتفاعها (١,٥٠م) يعلوها شريط كتابى به آيات قرآنية[١] ثم بعد ذلك بدن القبة الذى يزخرفة شرطة دالية يبلغ ارتفاعها (٩,٧٥م) .

تريد واجهة الضريح إلى الشرق مسافة (٣,٣٠م) لتشكل واجهة الإيوان القبلى زخرف هذا الارتداد بحنية رأسية تماثل الحنايا السايق ذكرها من حيث ارتفاعها واتساعها، ومكوناتها المعمارية، ومن حيث اشتمالها على نافذة مستطيلة تماثل النوافذ السابق وصفها من حيث ارتكازها على عتب من صنجات معشقة، وفوقه عتب مستقيم من صنجات معشقة، يعلوه عقد عاتق من صنجات معشقة، ثم مساحة مربعة خالية من الزخرفة، أما المستوى الثانى لهذه الحنية فقد شغلته قندلية بسيطة يؤطرها جفت حجرى بارز بشكل عقد مدائنى وتنتهى الحنية بصدر مقرنص من ثلاثة صفوف من المقرنصات ثم الشرافات التى تبدأ من هذا الارتداد، وتسير لتزين واجهة الإيوان القبلى فالمدخل التى فتح بها.

وقد غشيت فتحات النوافذ التى تشكل واجهة الضريح والارتداد المذكور بمصبعات ربما اضيفت فى وقت لاحق بعد ضياع المصبعات المصنوعة من النحاس[٢]، مما يشير إلى حدوث تجديد بهذا الأثر. تم فيه إضافة ما نقص من عناصره التى كان عليها، ولقد تم ذلك بالفعل فى عهد خديوى مصر عباس حلمى الثانى سنة (١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م)، وأثبت ذلك فى كتابة بالخط الثلث أعلى المدخل الرئيسى لهذه المنشأة(انظر لوحة/ ٢٢) وشكل (٢٩). وأما حافة واجهة الارتداد فقد شطفت وشغل الشطف عمود مخلق من نفس المادة المشيدة منها الواجهة

(١) القرآن الكريم : سورة الملك آية(١-٣) وجزء مطموس.

(٢) وثيقة الوقف ٤٧/٣١٣، سطر ٢٦٥.

وهى الحجر، وذلك بارتفاع(٣٠,٣م).

ب- واجهة الإيوان القبلى : (٢٦ش)، (لوحة ١٧)

تسير هذه الواجهة مسافة(١٣,٣٥م) وقد زخرفت بنفس الحنايا الرأسية التى زخرفت واجهة الضريح والارتداد الذى جعل إيوان القبلة أكثر اتساعا، وإن هذه الحنايا فى عددها توازى الموجودة بواجهة الضريح، لكن التى بواجهة الإيوان القبلى قد ضمت فى كل منها شباكين وقندلية أعلى كل شباك، وهذه الشبابيك ترتفع عن الأرض بمقدار(١,٠٥م)، وهى فتحات مستطيلة ارتفاعها(٢,٢٥م)، واتساعها(١,٣٥م) على كل شباكين عتب واحد من صنجات معشقة مكون من ست عشرة صنجة اتساعه(٣,١٥) وارتفاعه(٧٥سم)، يعلو ذلك عقد عاتق أعلى شباك مكون من مجاديل حجرية تسير بنفس اتساع العتب ذو الصنجات المعشقة أسفله لتتصل بالعقد العاتق الآخر الذى يعلو الشباك الثانى الذى يجاور الشباك الأول من الحنية، يتوج ذلك بحر مستطيل ربما كان مشغولاً ببعض الكتابات أو الزخارف الهندسية والنباتية، أما المستوى الثانى من الحنية فقد شغل بقندليتين كل واحدة تعلو شباك وهى تشبه القندليات السابق وصفها وتنتهى الحنية بصدر مقرنص من ثلاثة صفوف كالسابقة، أما الحنية الثانية التى تشتمل عليها الواجهة فهى متشابهة تماما مع الحنية السابق وصفها، وبين الحنيتن أعلى المحراب من الخارج شكل دائرى يطلق عليه عين الثور مغشى بالسلك ومحاط بجفت حجرى يلتقى مع الدائرة التى تحيط بها فى أربع ميمات، أما الجزء السفلى من هذا الجزء فقد زخرف بجفت حجرى يكون بحورا مستطيلة عددها ثلاثة العلوى والسفلى كبيران، أما الأوسط فهو صغير على جانبيه مربعان صغيران، وهذا الجزء مضاف أثنا فترة التجديد، وذلك لعدم وجود أية معلومات عنه داخل الوثيقة. ترتد الواجهة بعد ذلك مسافة(٤,٨٠م) لتتكون بذلك كتلة المدخل.

جـ- كتلة المدخل : (لوحة ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦)

يتقدم هذه الكتلة سلم مبنى بالحجر الفص النحيت[١] عدد درجاته خمس درجات، وكانت إحدى عشرة درجة وقت تشييدها[٢]، يصعد من عليه إلى بسطة عالية أسفلها كان يوجد

---

(١) انظر: المصطلح رقم (٩) بمعجم المصطلحات .

(٢) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٢٥٠ وجه.

حانوت ومقعد، كما كان يوجد أسفل الواجهة السابق وصفها ستة حوانيت أخرى[١] ضاعت معالمها الآن ، كما ضمت أيضاً باباً مربعاً يؤدى إلى ثلاثة حواصل أرضية معقودة بأقبية من الحجر الفص النحيت، مما يشير إلى أن المدرسة كانت من المدارس المعلقة، غير أنها الآن فقدت الحوانيت وكذلك الحواصل بحكم ارتفاع أرضية الشارع إلى مستوى هذا الجزء من الواجهة. وكذلك طم المقعد والحانوت أسفل البسطة المذكورة.

وقد كانت أرضية هذه البسطة من الحجر الأحمر الفص النحيت، على بعضها درابزين من الحجر الفص النحيت برمامين مازال باقياً حتى الآن، يزخرف جوانبه زخارف هندسية بالحفر البارز، وكذلك بالتخريم. (انظر: لوحات ١٨، ١٩) وشكل (٢٧، ٢٨). تؤدى البسطة إلى بوابة مبنية بالحجر المشهر[٢] بها باب مربع يكتنفها مسطبتان لطيفتان هى المعبر عنها بالمكاسل ترتفع بمقدار (٧٥سم) ويبلغ عمقها (١٢٠سم) وعرضها (٦٠سم). شغلت حجر المدخل من الجهة اليمنى واليسرى، يغلق على الباب المربع الآن باب من الخشب الذى يعود لنهاية القرن (١٩م) – أثناء تجديدات عباس حلمى للأثر- وكان قديماً من الخشب الجوز المطبق بالخشب النقى ومصفح بالنحاس وبمسامير نحاس يعلوه عتب مستقيم من صنجات معشقة ثم شباك موضوع بوسط دخلة مقرنصة ذكرت عنه الوثيقة أنه غشى بمصبعات نحاسية[٣]، والتى استبدلت بالحديدية أثناء تجديد الأثر. يتوج ذلك عقد مدائنى يرتكز على مجموعة من المقرنصات ذات الدلايات، ويحدد كوشتى العقد إطار حجرى، تنتهى كتلة المدخل من أعلى بصف من الشرافات الدائرة المكونة من ورقة خماسية نباتية[٤].

يزخرف واجهة كتلة المدخل الشمالية الغربية التى تعد امتداداً للواجهة السابقة بأقسامها المتعددة حنية رأسية أخرى تتشابه مع الحنايا السابق وصفها من حيث مكوناتها، غير أن الوثيقة تذكر أن هذا الجزء قد فتح به شباكان من النحاس[٥]، وعلى ذلك فإن ها الجزء قد فقد منه

---

(١) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٢٤٧ وجه.

(٢) الحجر المشهر: هو الحجر المتبادل الألوان، والذى غالباً ما يكون الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، انظر: سامى عبد الحليم: الخجر المشهر حاية معمارية بمنشآت المماليك فى القاهرة، ١٩٨٤، ص١٦.

(٣) الوثيقة ٤٧/٣١٣ سطر ٢٥٣ وجه.

(٤) الوثيقة ٤٧/٣١٣ سطر ٢٥٣.

(٥) الوثيقة ٤٧/٣١٣ سطر ٢٥٤.

حنية رأسية تشتمل على شباك يشبه المجاور له، والذى غشى كل منهما بمصبعات نحاسية كالتى غشت بقية فتحات النوافذ السابق وصفها، وعندما جدد هذا الجزء لم يرع فيه إعادة الجزء المفقود منه إلى سابق عهده، وعلى ذلك يجب تعديل هذا الجزء وفقاً لأوصافه داخل الوثيقة.

٢) الواجهة الشمالية الشرقية

تبدأ هذه الواجهة بجزء من الواجهة الشمالية الشرقية للضريح يبلغ عرضه (١٠,٠٥م) زخرف بحنية رأسية تتوسطه، تتكون من نفس الأجزاء السابق وصفها، ولا تشتمل على الشرافات التى تتوج بقية الواجهة ترتد هذه الواجهة جهة الجنوب مسافة (٢,٥٥م) وقد شطف هذا الجزء من الواجهة فى الجزء الشمالى منه، وشغل الشطف عمود مخلق كالسابق وصفه يتوسط هذا الجزء حنية رأسية تشتمل على نفس العناصر السابق ذكرها. التى كانت تشتمل على باب سر المدرسة الذى كان يشتمل على بسطة تتقدمه يؤدى إليها إحدى عشرة درجة كالتى وجدت بالمدخل الرئيسى، مصنوعة من الحجر الأحمر النحيت، والبسطة يتوصل منها إلى المدخل الذى يتوسطه فتحة باب مربع على جانبيه مكسلتان، وأعلى المدخل شباك من النحاس كالذى يشتمل عليه المدخل الرئيسى، ومن المحتمل أن يكون الباب الخاص بسر المدرسة قد صنع أيضاً من الخشب المصفح بالنحاس، وبالمسامير النحاس أيضاً ويتوج البسطة التى تتقدم المدخل درابزين من الحجر الأحمر الفص النحيت برمامين كالتى تتقدم مدخل المدرسة الرئيسى[١].

أما الآن فقد شغل هذا الجزء ببعض الحوانيت التى يقطنها سكان الحى، ويجب سرعة إعادة هذا الجزء من المدرسة إلى سابق عهده نظراً إلى ما يتمتع به هذا الأثر من أهمية تاريخية تتمثل فى أنه آخر أثر جركسى يعود لهذه الفترة وإعادة أجزاؤه يفيد فى معرفة المراحل التى توقفت عندها عمارة المدرسة الجركسية.

٣) الواجهة الجنوبية الغربية

هذه الواجهة خالية من أية عناصر معمارية سوى دخلات وبروزات تعمل على تماسك هذه الواجهة الممتدة لمسافة (١٨,٧٥) ترتد بعدها مسافة (٢٥,٥م)، ثم تسير بعد ذلك لتكون واجهة السدلة الجنوبية الغربية والميضأة.

---

(١) الوثيقة ٤٧/٣١٣ سطر ٢٧٧.

وهذا الجزء من الواجهة كان يجاور الفرن والطاحون الجارى ذلك فى وقف المرحوم السيفى قرقماس آنذاك، وهى الآن واجهة خالية لا يجاورها أية مبان تطل على عطفة يطلق عليها عطفة بيبرس.

وقد اشتملت هذه الواجهات على عناصر معمارية يمكن إجمالها في النقاط الآتية لتتبع مراحل تطورها:

١) الحنايا الرأسية. ٢) الصنجات المعشقة. ٣) المقرنصات.
٤) القبة وزخارفها من الخارج . ٥) المصبعات. ٦) المداخل.
٧) الأبواب المصفحة. ٨) البسطة ذات الرمامين. ٩) الشرافات.

عناصر الواجهة المعمارية

١) الحنايا الرأسية

استخدمت هذه الطريقة لزخرفة حوائط المنشآت فى مصر منذ العصر الفاطمى[١] على أقل تقدير حيث ظهرت فى واجهة الأقمر (٥١٩هـ/ ١١٢٥م)[٢]، ثم شاع استخدامها بعد ذلك فى واجهات العمائر خلال العصور التالية، ففى العصر الأيوبى نراها تزين واجهة ضريح الإمام الشافعى (٦٠٨هـ/ ١٢١١م)[٣]، ثم فى واجهة المدارس الصالحية[٤] (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م) كما استعمل كذلك فى واجهة مسجد الظاهر بيبرس (٦٦٢-٦٦٦هـ/ ١٢٦٣-١٢٦٧م)[٥]، وواجهة مدرسة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين(٦٩٥-٧٠٣هـ/ ١٢٥٩-١٣٠٤م)[٦]، وخانقاة سنجر وسلار (٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م)[٧]، ومسجد أحمد المهمندار (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م)، والسلطان حسن (٧٥٧-٧٦٤هـ/ ١٣٥٦-١٣٦٢م)[٨]، واستمر معروفاً كذلك فى عمائر العصر الجركسى، فنراه يزين واجهة خانقاه برقوق بالنحاسين (٧٨٦-٧٨٨هـ/ ١٣٨٤-

---

(١) فريد شافعى العمارة العربية فى مصر، ص ١٦٩، مصطفى نجيب: العمارة فى عصر المماليك مقال بكتاب القهرة تاريخها فنونها آثارها ١٩٧٠م، ص٢٧٧.

(2) Briggs (M.S), Muhammadan Architecture In Egypt & Palestine, Oxford, 1924, P.,39.

(٣) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، جـ٢، العصر الأيوبى، دار المعارف ١٩٦٩م، لوحة ٩أ.

(٤) المرجع نفسه، لوحة٢٥.

(5) Wiet (G), The Mosques Of Cairo, Translated From French By Johns Hardman, Libraire Hachette, 1966, P1, 21.

(6) Ibid, Pl, 26.

(7) Ibid, Pl, 28.

(8) Ibid, Pl, 38.

١٣٨٦م)[١]، وخانقاه فرج (٨٠٣-٨١٣هـ/ ١٤٠٠-١٤١٠م)، والمؤيد شيخ (٨١٨-٨٢٣هـ/ ١٤١٥-١٤٢٠م)، ومنشآت قايتباى بالصحراء[٢] وقلعة الكبش، وجزيرة الروضة، واستمر معروفاً حتى نهاية العصر الجركسى حيث ظهر فى مدرسة الغورى[٣]، وقبته بالغورية، وكذلك فى منشأة الأمير سودون العجمى سنة (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)، والأمير بيبرس الخياط (٩٢١هـ/ ١٥١٦م) بالجوذرية.

٢) الصنجات المعشقة

أشرت فى الفصل السابق إلى استعمال هذه الصنجات فى مدرسة الأمير مقبل المشيدة فى بداية عصر المماليك الجراكسة، والتى اتضح من خلال ذكرها مراحل تطورها واستخداماتها، وهى هنا فى مدرسة الأمير بيبرس تمثل أقصى ما وصلت إليه من تطور، حيث استخدمت فى عمل العقود المستقيمة التى تعلو فتحات النوافذ بواجهات المدرسة، وكذلك فى تشكيل العقود العاتقة أعلاها.

٣) المقرنصات

سبق الإشارة فى الفصل السابق إلى استعمالات هذا النوع من الزخرفة المعمارية التى استخدمت فى هذه المدرسة فى نهاية الحنايا الرأسية التى تزخرف واجهات المدارس، وكذلك مدخل المدرسة حيث يرتكز عليها العقد المدائنى الذى يتوج حجر المدخل والتى نفذت باستعمال الدلايات، وقد نفذت بمساقط أفقية غير مزواة، مما يشير إلى أنها من النوع الحلبى، والذى عم وجوده منشآت تلك الفترة.

٤) زخارف القبة من الخارج

أشرت فى الفصل الأول من هذا الباب إلى القبة الملساء التى غطت المساحة المربعة الموضوع بها ضريح الأمير حسام الدين طرنطاى حيث كسيت بطبقة من الملاط، والحقيقة أن هذا النوع من القباب قد انتشر فى عمائر العصرين الأيوبى والمملوكى البحرى، حيث نراه فى ضريح الخلفاء العباسيين (٦٤٠هـ/ ٢٤٢م)، وضريح شجر الدر (٦٤٨هـ)، وضريح الصالح أيوب (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، وقبة الأشرف خليل بالخليفة والتى يظهر بها مرحلة من التطور تظهر فى استعمال النتوءات البارزة التى تشبة الدعامات الساندة حول القبة، والتى تعود

(1) Wiet (G), Op.cit, Pl, 44.
(2) Ibid, Pl, 53.
(3) Ibid, Pl, 58.

لسنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، وهذه الظاهرة ظهرت بعد ذلك فى قبة مدرسة السلطان حسن بالرميلة.

وبجانب هذا النوع وجدت القباب المضلعة فى ذلك العصر أيضاً والتى يعد وجودها امتداداً لوجودها فى العصر الفاطمى[١]، فنرى ذلك فى قبة الصوابى (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥-١٢٨٦م)، وقبة زاوية القادرية (٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م)، وقبة على بدر الدين القرافى بصحراء السيوطى (٧١٠-٧٢٠هـ/ ١٣١٠-١٣٢٠م)، وقبة مسجد أحمد المهمندار (٧٢٥هـ/ ١٣٢٤-١٣٢٥م)، وقبة تنكزبغا القبلى والبحرى (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، وقبة مدرسة أم السلطان شعبان (٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)[٢] وغيرها.

وبجانب هذه الزخرفة زخرف سطح القبة فى العصر المملوكى بالزخارف النباتية والهندسية[٣]، والتى منها الزخرفة الزجزاجية التى تمثلها هذه القبة، حيث عرفت هذه الزخرفة قبل تاريخ هذه القبة بفترة كبيرة فنراها تزين سطح قبتى خانقاه فرج بن برقوق (٨٠٣-٨١٣هـ/ ١٤٠٠-١٤١٠م)، وفى ضريح المؤيد شيخ، وبرسباى (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)، كما عرف فى بعض منشآت الأمراء مثل قبة ضريح الأمير قانباى المحمدى (٨١٦هـ/ ١٤١٣م)، وجانى بك (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)، ثم فى طراباى الشريفى (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣-١٥٠٤م) بباب الوزير وقبة سودون العجمى (٩١٠هـ/ ١٥٠٤م) بصحراء السيوطى ثم قبة الأمير بيبرس الخياط (٩٢١هـ/ ١٥١٦م).

وقد استعمل هذا الأسلوب الزخرفى لما له من مميزات كثيرة، فهو ينفذ بالنحت الخفيف مما يقلل الضغط على بدن القبة كما أنه يتلاءم بيسر مع التناقص التصاعدى لسطح القبة، والذى كان يشكل مشكلة أساسية لمصممى زخرفة القباب آنذاك[٤]، وبجانب هذا النوع من الزخرفة عرفت كذلك الزخرفة النباتية على القباب كما فى قبة جوهر القنقبانى (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)،

---

(١) انظر عن ذلك: عبد الرحمن فهمى: القبة والمئذنة فى المسجد والضريح فى عمائر القاهرة الدينية، منبر الإسلام، العدد (٤) لسنة ٢٩ يونيو ١٩٧١م، ص١٥٨.

(٢) المرجع نفسه، ص١٥٨.

(٣) حسن عبد الوهاب: مميزات العمارة الإسلامية فى القاهرة، مؤتمر الآثار فى البلاد العربية، دمشق، ١٩٤٧م، القاهرة ١٩٤٨م، ص١٨٨.

(٤) كريستل كسلر: زخارف قبابا القاهرة، مجلة فكر وفن، عدد خاص، القاهرة فى عيدها الألفى، سنة ١٩٦٩م، ص٢٧، ترجمة شهيرة محرز.

وقبة المنوفى بالصحراء (مواجهة لمدرسة قايتباى) (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م). كما عرفت الزخرفة النجمية على سطح بعض القباب كما فى قبة قايتباى بالصحراء (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م).

٥) المصبعات

أشارت الوثيقة إلى استعمال المصبعات النحاسية فى جميع النوافذ التى ضمتها المدرسة، وهذه المصبعات عبارة عن أرماح طولية تتقاطع مع أرماح عرضية مكونة أشكال كرات بمساقط مربعة صغيرة، وقد تم استبدال هذه المصبعات بأخرى حديدية ربما نتيجة ضياعها أو تآكلها، أو انتزاعها إلى غير ذلك من الأسباب، وهذا العنصر استعمل أول مثل له فى المدرسة الصالحية، بشارع المعز[١]، مما يشير إلى أن ظهوره قد بدأ فى العصر الأيوبى، ثم شاع بعد ذلك فى عصر المماليك على العمائر الدينية والمدنية، فنراه على واجهة المنصور قلاوون بالنحاسين[٢]، وخانقاة سنجر وسلار[٣]، ومسجد الطنبغا الماردانى[٤] ومدرسة السلطان حسن[٥]، ومدرسة صرغتمش[٦]، ومدرسة برقوق[٧]، ومسجد المؤيد شيخ[٨]، ومدرسة الأشرف برسباى بالنحاسين، وسيدى مدين بباب البحر، وقايتباى بالصحراء، وكذلك ظهرت بمدرسة السلطان الغورى، وسودون العجمى، وقاينباى أمبراخور، وقرقماس أمير كبير، وبيبرس الخياط، وانتشرت بعد ذلك فى عمائر الفترة العثمانية بعد أن استبدلت هذه المصبعات فى معظم المنشآت بالمصبعات الخشبية.

٦) البسطة ذات الرمامين

تشير النماذج الباقية من هذا العنصر إلى معرفته فى العصر المملوكى؛ حيث بدأ فى مدرسة سنجر وسلار باستعمال سلم حجرى يؤدى إلى مدخل المدرسة[٩]، وذلك بحكم ارتفاع المنشأة عن سطح الأرض، ثم بعد ذلك وجد فى مدرسة السلطان حسن[١٠]، والتى نفذت بحيث

---

(1) Wiet (G), Op.cit. P1, 20.
(2) Ibid, Pl, 24.
(٣) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جـ٢، لوحة٦٦.
(4) Hautecaeur (L), Et Wiet (G), Les Mosqueesdu Caire, Paris, 1932, P1, III.
(5) Ibid, Pl, 125.
(6) Ibid, Pl, 122-123.
(7) Ibid, Pl, 147.
(8) Ibid, Pl, 163.
(٩) حسن عبد الوهاب الرجع نفسه، لوحة٦٦.
(10) Wiet (G), The Mosques Of Cairo, P1, 38.

يؤدى إليها طرفى سلم وفوقها شيد دروة حجرية برمامين، وذلك لإضفاء مزيد من الأهمية لمدخل المنشأة، فضلاً عن أن تشييدها – ربما جاء – بهدف إعطاء فرصة للبواب من التحقق من هوية الأشخاص الذين يرغبون دخول المدرسة، ثم ظهرت بعد ذلك فى مدرسة برقوق[١]، وخانقاة الناصر فرج بالصحراء[٢]، ومسجد المؤيد شيخ، والمدرسة الأشرفية، والسلطان قايتباى بالصحراء[٣]، والسلطان الغورى[٤]، والأمير بيبرس الخياط الذى ضمت مدرسته اثنتين من هذا العنصر، شيدت واحدة تتقدم المدخل الرئيسى، وأخرى تتقدم باب سر المدرسة. وكانت عبارة عن إحدى عشرة درجة تؤدى إلى بسطة لها دروة برمامين[٥] وقد عرف هذا العنصر أيضاً فى عمائر العصر العثمانى حيث وجد فى مسجد تغرى بردى بدرب المقاصيص (القرن١٦م) مما يشير إلى تأثر العمائر العثمانية بالعمائر المملوكية.

٧) المدخل

أشرت فى الفصل السابق إلى تطور المدخل فى عمائر العصر المملوكى ونماذجه التى عرفت فى ذلك العصر، ومن هذه النماذج، المدخل ذو العقد المدائنى المملوء عقده بالمقرنصات ذات الدلايات، والذى يمثله مدخل مدرسة الأمير بيبرس الخياط.

ووجود هذا المدخل بهيئته المذكورة يشير إلى أن نموذجى هذا الطراز قد استمرا حتى نهاية العصر الجركسى، وكذلك ظهرا فى بعض النماذج العثمانية، وإن كان النموذج الثانى –الخالى من المقرنصات– أكثر شيوعاً فى عمائر العصر العثمانى.

وهذه المداخل كان يتوسطها فتحات الأبواب التى غالباً ما تكون مربعة، يغلق عليها مصاريع أبواب من الخشب مصفحة بالنحاس وهذا النموذج من الأبواب المصفحة، استعمله المنشئ فى مدخل مدرسته، حيث تشير إلى ذلك الوثيقة ".... يغلق عليه فردة باب خشب جوزا مطبق بالخشب النقى ومصفح بالنحاس وبمسامير نحاس[٦].

وهذا الأسلوب الصناعى والزخرفى قد عرف فى مصر منذ العصر المملوكى إذ وجد أقدم

---

(1) Ibid, Pl, 44.
(2) Ibid, Pl, 41.
(3) Ibid, Pl, 55.
(4) Ibid, Pl, 58.

(٥) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧٦، ٢٧٧.

(٦) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٢٥٢، ٢٥٣ وجه.

مثل له بالمدرسة الظاهرية ببيرس البندقدارى بالنحاسين (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)، والـذى يوجـد الآن بالملحقة الثقافية الفرنسية بالجيزة[١]، ثم شاع بعد ذلك فى عمائر ذلك العصر، إذ وجـد فى مدرسة قلاوون[٢]، وبمدرسة السلطان حسن[٣] الذى انتزعه المؤيـد شـيخ ووضـعه علـى مدخل مسجده[٤]، كما وجد فى المدرسة الأشرفية برسباى[٥]، وبالسلطان الغورى، وغيرهـا من المنشآت[٦].

ومن المحتمل أن يكون المنشئ قد اتخذ لباب سر مدرسته نفس هذا المصراع الخشبى المصفح بالنحاس، نظراً لتشابه المدخل الخاص بباب سر المدرسة مع المدخل الرئيسى للمدرسة.

٨) الشرافات

لم تشر الوثيقة إلى وجود مثل هذه الشرافات فى نهاية واجهات المدرسة غير أن الشائع فى العمارة الدينية فى مصر وغيرها تتويح نهاية المبنى بمثل هذه الشرافات، التى تشير إلى أن المبنى قد انتهى عند هذا الحد.

والشرافة من أصل إيرانى اقتبسها المسلمون، وتفننوا فى أشكالها[٧]، فظهرت فى مصر على هيئة عرائس فى جامع أحمد بن طولون[٨] وبأشكال مدرجة تشبة أسنان المنشار فى قبة الإمام الشافعى (٦٠٨هـ[٩]/ ١٢٠م)، وبهيئة الورقة النباتية الثلاثية فى منشآت عديدة فى عصر دولة المماليك بجانب الورقة النباتية الخماسـية، كمـا فـى مدرسـة الـسلطان حـسن[١٠]، ومدرسـة برقوق[١١]، مدرسة قايتباى بقلعة الكبش[١٢]، وهذه المدرسـة موضـوع البحـث التـى كانـت شرفاتها من ورقة نباتية خماسية، والتى من المحتمل أنها جددت فى عهد عباس حلمى الثـانى

---

(١) يجب الإسراع بتسجيل هذا الباب ضمن الآثار الإسلامية الواجب الحفاظ عليها، إذ أنه لم يسجل حتى الآن.

(٢) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، جـ٢، لوحة٩٥.

(٣) المرجع نفسه، لوحة ١١٢.

(4) Wiet (G), Op.cit. P1,50.

(٥) حسن عبد الوهاب: المرجع نفسه، لوحة١٥٥.

(٦) المرجع نفسه: لوحة٢٩٠.

(٧) حسن مؤنس: المساجد، سلسلة عالم المعرفة، عدد (٣٧) يناير ١٩٨١م، ص١٤٦.

(٨) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ش٣١.

(٩) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، جـ٢، لوحة٥١.

(10) Wiet (G), Op.cit. P1, 39.
(11) Ibid, Pl, 44.
(12) Ibid, Pl, 52.

فى أثناء تجديده للمنشأة بأكملها. يؤدى المدخل السابق ذكره إلى دركاة مستطيلة الشكل. أبعادها (٢,٥٥×٣,٧٥م)، فتح غى الجهة الشرقية منها شباك واحد هو السابق وصفه عند تناول امتداد واجهة المدخل، والذى كان يجاوره شباك آخر ذكرته الوثيقة فى وصفها للواجهة استبدل الآن بدخلة حائطية من داخل الدركاة (خزنة). ويواجه الداخل فى صدره مصطبة وصفتها الوثيقة بأنها مصطبة صدر لطبفة (صغيرة)[١]، كان يعلوها شباك نحاس، يقابل الشباك النحاس الذى يوجد أعلى فتحة المدخل، وذلك لإضاءة الدركاة، سقفت الدركاة سكندرياً على جفت بزوايا[٢]، وجزء آخر مدهون حريرياً ملمع بالذهب واللازورد[٣] تم تجديده أثناء فترة حكم خديوى مصر عباس حلمى الثانى (١٣١٢هـ/ ١٨٩٢م)، فتح بها فى الجهة الغربية باب مربع يغلق عليه فردة باب خشباً نقياً (فقدت الآن)، يؤدى هذا الباب إلى مجاز مسطيل طوله (١٠,١٢م) وعرضه (١,٨٠م) كان يشتمل فى الجهة اليسرى منه على مسطبة لطيقة يعلوها أيضاً شباك (لوحة٢٥).

يقابل هذه المصطبة باب مربع يغلق عليه فردة باب يؤدى إلى سلم، وصفته الوثيقة بأنه معقود بالبلاط الكدان بشكل ثلاثة أرباع دائرة، يؤدى إلى طباق[٤] سكنى خاص بأرباب الوظائف المستحقين بالمدرسة.

يجاور هذا السلم مزملة مساحتها (٣,٦٠×٢,٦٠) يوجد بها فى الجهة الشمالية الشرقية دخلة حائطية – خرستان – كانت مخصصة هذه المزملة لوضع أدوات خزن الياة وتبريدها لرواد المدرسة، وكذلك لأرباب الوظائف بها، والطلبة الدارسين، وقد خص الواقف هذه المزملة بحاصل مياه لتزويدها بما تحتاج إليه من مياه، ربما كان أسفلها.

ويطل على هذا الدهليز أيضاً بجوار باب المزملة الشباك الخاص بخلوة الخطيب التى يفتح بابها على إيوان القبلة.

ينكسر هذا الدهليز بعد ذلك جهة الشمال مسافة (٤,٦٥م) وبنفس اتساع الدهليز، حيث نصل منه إلى داخل المدرسة، إذ يتكون بذلك دهليز منكسر على شكل حرف (L)، وتشير

---

(١) الوثيقة٤٧/٣١٣، سطر٢٥٣.

(٢) الوثيقة٤٧/٣١٣، سطر ٢٥٤ وجه. (انظر عن هذا المصطلح: المعجم رقم (٢٧).

(٣) انظر: المعجم رقم (٣١)، الوثيقة نفسها، سطر٢٥٦، سطر٣٠٣.

(٤) انظر: معجم المصطلحات رقم (١٧)، الوثيقة نفسها، سطر ٢٥٦، سطر ٣٠٣.

الوثيقة إلى أن الدركاة والدهليز قد فرشت أرضية كل منهم بالرخام الملون، أما جدرانهما فقد سبلت بالبياض، وسقف الدهليز المذكور نقياً حريرياً، وقد فقد سقف الدهليز حالياً باستثناء جزء صغير يربط بين المدرسة والدهليز، أما الأرضية فقد نزع رخامها وأعيد تبليطها بالبلاط الحديث وكذلك الدركاة، ينتهى هذا الدهليز بباب مربع عليه فردة باب يدخل منه إلى المدرسة[1]. وقد تضمن هذا الجزء الموصوف العناصر المعمارية الآتية: الدركاة – المدخل المنكسر – المزملة، وهذه العناصر أشير فى السطور التالية إلى مراحل تطورها.

الدركاة

الدركاة كما سبق وأن أشرت فى الفصل السابق: هى المساحة التى تلى باب الدخول، وهى إما أن تكون مربعة أو مستطيلة، وهى تربط خارج البناء بداخله.

وهى من العناصر المعمارية التى لازمت كافة المنشآت المعمارية الدينية، والمدنية، إذ كانت تحتوى على مسطبة لجلوس البواب الذى يؤمن المنشأة من أى اعتداء، وقد مرت الدركاة بمراحل تطورية بدأت فى زاوية زين الدين يوسف بالقادرية (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، حيث فتح بها مدخل منكسر يؤدى إلى داخل الزاوية، وذلك فى الجهة القبلية منها، أما الدركاة التى يضمها مسجد الأمير شيخو الناصرى (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، فهى مساحة مستطيلة فتح فى الجهة اليمنى منها باب الدخول إلى القبة، ويواجه الداخل إليها باب الدخول إلى المسجد[2].

أما مدرسة السلطان حسن فنجد أن هذا العنصر قد بلغ قدراً من التطور، حيث كان تخطيطها عبارة عن مساحة مربعة مغطاه بقبو متقاطع ويفتتح عليها ثلاث سدلات صغيرة تشبه تلك التى تضمها المدارس ذات التخطيط المتطور، وضع بالجهة اليسرى المدخل المنكسر الذى يؤدى إلى داخل المدرسة[3]، وهذه الدركاوات تحكم فى تخطيطها المساحة التى بنيت فوقها المدرسة، وبالتالى المساحة التى خصصت للدركاة بالإضافة إلى الاتجاه الذى كان عليه مدخل المنشأة، والذى بواسطته تتوزع بقية وحدات المنشأة.

ومن دركاوات العصر الجركسى دركاة مدرسة وخانقاة برقوق بالنحاسين، مربعة التخطيط التى تغطيها قبة صغيرة مثمنة الأضلاع بالجهة اليمنى منها باب يؤدى إلى مدخل منكسر يؤدى

---

(١) الوثيقة نفسها: سطر٢٥٨ وجه.

(٢) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جـ١، ص١٥٨.

(٣) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جـ١، ص١٧١.

إلى المدرسة[1]، وهذا الوضع يتشابه مع دركاة الأمير بيبرس، رغم أن مدخل برقوق شرقى ومدخل بيبرس شمالى.

وكذلك دركاة خانقاة الناصر فرج بالصحراء (٨٠٣-٨١٣هـ/ ١٤٠٠-١٤١٠م)، ودركاة مدرسة قايتباى بالصحراء، ومدرسة الغورى، وجميعها اتسمت بمساحات متقاربة مع دركاوات العصر البحرى التى اتسمت بكبر مساحتها قليلاً عن الدركاوات الجركسية، كذلك وزع على مساحتها بعض المداخل، فحين كان المدخل المنكسر المؤدى إلى داخل المنشأة يحتل الجهة اليمنى أو اليسرى كان المدخل الآخر الذى يؤدى إلى بعض الملحقات يحتل الجهة الأخرى بحكم الوضع الذى شيدت عليه النشأة.

كذلك فإن بعض الدركاوات قد اختصت بمدخل واحد مباشر يؤدى إلى المنشأة مثل مسجد الماس الحاجب(٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)[2]، ومسجد شيخو الناصرى (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)[3]، وايتمش البجاسى (٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م)، ومقبل الرومى (٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م)، ولاجين السيفى بشارع مراسينا (٨٥٣هـ/ ١٤٤٩م).

كذلك فإن بعضها قد اشتملت على مدخل يؤدى إلى القبة الضريحية مثل مساجد الماس حاجب (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)[4]، ومسجد شيخو الناصرى، ومسجد تغرى بردى بالصليبية (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)[5]، وإلى السبيل مثل مدرسة برسباى بالأشرفية (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)[6]، وذلك بالجهة اليسرى من الدركاة كما أن بعضها اشتمل على مصاطب للبواب، كما فى منشأة بيبرس الخياط، ومن قبلها نماذج كثيرة، مثل السلطان حسن، وسيدى مدين (٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م)، ومدرسة تغرى بردى بالصليبية، ومدرسة قايتباى بالصحراء، وغيرها.

المدخل المنكسر (لوحة٢٥)

لازم هذا النوع من المداخل النظام المدرسى المتعامد، وكذلك بعض المساجد ذات الأروقة، فى العصر المملوكى، وكذلك بعض المنشآت المدنية خاصة القصور والمنازل[7]، وقد عرف هذا

---

(١) المرجع نفسه، ص١٩٥.

(2) Kessler (Christel), Funerary Architecture Within The City, Plan, 9.

(3) Ibid, Plan, 3.

(4) Ibid, Plan, 9.

(5) Ibid, Plan, 7.

(6) Kessler, Op.cit. Plan, 2.

(٧) حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص١٧١.

النوع من المداخل فى الدور الطولونية التى كشفت عنها حفائر على بهجت والبير جبرائيل بالفسطاط[١]، ثم انتقلت بعد ذلك إلى العديد من المنشآت فى العصور التالية، والتى عرضنا لبعضها عند الحديث عن الدركاة.

المزملة

المزملة هى القدر المصنوع من الفخار والتى تكسى أو تلف أو تزمل بالقماش المبلول لحفظ الماء دون عفن، وتوضع تلك القدور أو الأزيار فى دخلة مستطيلة أو مربعة ترتفع عن أرضية الدهليز، يغشى أرضيتها بالرخام[٢] وعلى وجهها حجاب من الخشب يرتفع لمنتصفها، يتوسطه باب ذو مصراعين لتزويد الأزيار بالماء من خلاله. وهذا المعنى الذى انسحب على الأزيار قد أطلق أيضاً على المكان الذى وضعت به هذه الأزيار[٣].

وقد أضافها المعمار للمنشأة المذكورة لتكون مورداً للشرب دائماً، يوفر لطالبه الوقت والجهد فى الحصول على مياه رطبة مثلجة صالحة للشرب[٤].

وهذه المزمال التى اشتملت عليها منشآت العصر المملوكى الدينية قد كان معظمها يشيد أسفله صهريج لخزن المياه تزود به هذه الأزيار فى حالة نفاذ المياه منها[٥].

وقد ظهر هذا العنصر المعمارى خلال العصر الجركسى، حيث ضمه كثير من عمائر تلك الفترة مثل خانقاة برقوق بالنحاسين[٦]، ومسجد المؤيد شيخ[٧]، وجامع عبد الغنى الفخرى (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)[٨]، بشارع بورسعيد (الخليج المصرى)، ومدرسة الأشرف برسباى بالأشرفية (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)[٩]، ومدرسة قايتباى بالصحراء (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)، ومسجد

---

(١) فريد شافعة: المرجع السابق، ش٢٦٠، ص٤٢٩.

(٢) عبد اللطيف إبراهيم: نصان جديدان من وثيقة الأمير مرغتمش، فصله من مجلى كلبة الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٢٨، ١٩٦٦م، ص٤٧.

(٣) مصطفى نجيب: المزملة كمورد لمياة الشرب بمنشآت القاهرة فى العصر المملوكى، مجلة كلية الآثار، العدد الثانى، ١٩٧٧م، ص١٥٠، ١٥٣-١٥٥.

(٤) المرجع السابق، ص١٥١.

(٥) حسن الباشا: المرجع السابق، ص١٦٤.

(٦) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، جـ١، ص١٩٦.

(٧) المرجع نفسه: ص٢١٠.

(٨) المرجع نفسه: ص٢١٦.

(9) Kessler, Op.cit. P.260.

الغورى (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)[١]، ومدرسة بيبرسالخياط موضوع هذا البحث.

ومن الدهليز السابق وصفه، وما اشتمل عليه من عناصر معمارية نصل إلى داخل المدرسة، وهى تتكون من دور قاعة وسطى وإيوانين متقابلين، وسدلتين وقبة ضريحية، وميضأة.

أولاً: الدور قاعة:

مساحة مربعة التخطيط تقريباً (٩×٥٥ ,٨م)، فتح عليها إيوان القبلة بكامل اتساعه، وكذلك السدلتان، كما اشتملت على ثلاثة أبواب الأول الذى يدخل منه إليها، والثانى يؤدى إلى القبة الضريحية والثالث يؤدى إلى الميضأة والمدخل الثانى للمدرسة.

وقد غطيت هذه الدور قاعة بسقف خشبى نقى مدهون حريرياً ركب على دور القاعة درابزين من الخشب الخرط الميمونى[٢] الذى يمتاز بصغر حجم وحداته ودقتها، وهذا الشكل الذى عليه سقف هذه الدور قاعة قد تغيرت معالمه، وإن كان قد جدد على نفس النسق القديم مع افتقاده للشخشيخة. أما أرضية الدور قاعة فهى هابطة عن باقى أرضيات وحدات المدرسة، بمقدار (٣٠سم)، وضع ما بين باب القبة، والباب المؤدى إلى الميضأة قائم صفف كسى بالرخام[٣]، فقد فى عصرنا الحالى وخصص لبعض الأوانى الفخارية الخاصة بالشرب وغيرها.

إيوان القبلة:

الإيوان: قاعة كبيرة قد تكون مستطيلة أو مربعة مسدودة من جهات ثلاث، وتطل على الصحن أو الدور قاعة بعقد مدبب من جهتها الرابعة، وقد يكون الإيوان معقود، وقد يكون مسقوف[٤]، وهذا الإيوان من الإيوانات المسقوفة التى تطل على الدور قاعة بعقد مدبب اتساعه (١٠ ,٨م) وارتفاعه (٣٥ ,١٠م) (ش٣٠).

أما مساحة هذا الإيوان فهى (١٠ ,٨×٤٠ ,١١م)، تتضمن ثلاثة جدران، الجدار الأول جنوبى غربى، ويقع على يمين الداخل إلى الإيوان، وفتح به غرفة صغيرة تبعد عن بداية

---

(١) حسن عبد الوهاب: المرجع نفسه، ص٢٨٩.

(٢) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٢٨١، ٢٨٢ وجه.

(٣) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٢٨٠.

(٤) حسن عبد الوهاب: المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، مجلة المجلة، العدد (٢٧) مارس ١٩٥٩م، ص٣١، وكذلك انظر: فريد شافعى: المرجع السابق، ص١٥٩. Hill (D), Op.cit. P,93.

الإيوان الشمالية الغربية بمقدار (٣,٧٠م) تؤدى إليها فتحة باب اتساعها (١,٠٥م) تؤدى إلى مساحة الحجرة التى تبلغ: (٣,٣٠×٤,٤٠م) فتح فى الجهة الجنوبية الغربية منها شباك من النحاس[١]، وضع داخل دخلة عمقها (٣٠سم) واتساعها (١٢٠سم) يطل على الدهليز السابق ذكره. أما الجهة الشمالية الشرقية منها، فقد فتح بها كتبية اتساعها(٧٥سم)، وعمقها (٣٠سم). وقد خصصت هذه الحجرة برسم الخطابة. وقد وصفتها الوثيقة بأنها خلوة مبلطة بالبلاط الكدان مسبلة الجدر بالبياض مسقفة نقياً[٢]. يجاور الخلوة كتبية أخرى أشارت إليها الوثيقة، لكنها غير موجودة، ومن المحتمل أن تكون الكتبية التى ضمتها خلوة الخطيب قد كانت تجاور هذه الكتبية من الخارج، وأثناء تجديد هذه المدرسة أدخلت داخل الخلوة عند إعادة بناء هذا الجدار[٣]، وقد كان يغلق على كل كتبية مصراعان من الخشب النقى المدهون بالألوان المختلفة.

الجدار الشمالى الشرقى:

يواجه هذا الجدار الجدار السابق وصفه، وهو يشتمل على شباك عليه مصبعات نحاسية يواجه باب الدخول إلى الخلوة يطل على القبة الضريحية، حيث يشترك هذا الجدار مع القبة الضريحية. كما يشتمل هذا الجدار على النافذة السابق وصفها من الخارج عند وصف الجزء المرتد من واجهة الضريح، ويبلغ عمق هذه النافذة (١,٥٠م)، واتساعها (١,٢٠م).

الجدار الجنوبى الشرقى :(لوحة ٢٧)

يتوسط هذا الجدار المحراب الذي يباغ عمقه (١,٥٠م)، واتساعه (١,٦٥م)، وهو عبارة عن حنية نصف دائرية مزخرفة بأشرطة رخامية طولية تنتهى بشريط نصف دائرى أسود وآخر أبيض وثالث أسود، ثم زخرفة هندسية عبارة عن مثلثات متداخلة تشغل مساحة كبيرة تقترب من بداية عقد المحراب المدبب ويلى ذلك زخرفة زجزاجية بالرخام الأبيض والأسود(أبلق)[٤].

---

(١) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٢٦٠ وجه.

(٢) الوثيقة نفسها، سطر ٢٦٠وجه.

(٣) لم يرد ذكر داخل الوثيقة عن وجود كتبية داخل خلوة الخطيب، مما يؤكد الاحتمال المطروح.

(٤) الراجح أن طريقة الأبلق شامية الأصل؛ إذ تسود المبانى التى تعود إلى أوائل العصر الأيوبى فى حلب حين استخدم الرخام الأبيض والأسود لتزيين واجهات بعض المبانى. انظر ثروت عكاشة: القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية، دار المعارف١٩٨١م، ص١٣٠.

وقد شكل عقد المحراب على صنجات معشقة، وتمت طريقة تعشيقها بواسطة ورقة نباتية ثلاثية فى الصنجة الأولى المجاورة وهكذا، وذلك فى العقد الخارجى الذى يرتكز على عمودين كل عمود فى ركن مخلق، ويتكون العمود من قاعدة وتاج بصليبة الشكل وبدن اسطوانى من الرخام.

أما العقد الداخلى، فهو عبارة عن قمة الحنية الخاصة بالمحراب، والذى يتكون أيضاً من صنجات معشقة على النمط الأبلق. (انظر لوحة ٢٩، ٣٠)، (شكل٣١).

ويزخرف كوشتى العقد مداور رخامية يحدها إطار، ويعلو المحراب من أعلى قمرية مغشاه بالزجاج المعشق، والتى سبق وصفها من الخارج.

على يمين المحراب شباكان عمق كل منهما (٢,٢٥م)، واتساع كل منهما (١,٣٥م)، وعلى يساره أيضاً شباكان عمق كل منهما (١,٥٠م)، واتساعهما (١,٠٥م)، وارتفاع الشبابيك الأربعة (٣,٧٥م)، بما فى ذلك العقد المدبب الذى يتوج كل شباك، ويغلق على كل شباك مصراع خشبى حديث، ويعلو كل شباك آخر معقود والذى يكون من الخارج قندلية بسيطة سبق وصفها يغشى كل شباك زجاج ملون معشق فى الجص سقط بعضه.

يجاور المحراب فى المساحة المحصورة بينه وبين الشباك الأول جهة اليمين المنبر، والذى وصفته الوثيقة بأنه صنع من الخشب النقى[1]، وهو يتكون من مقدم ركب عليه مصراعين من الخشب يعلوه صدر مقرنص. يؤدى بابى المنبر إلى درج يصعد عليه إلى جوسق المنبر الذى يشبه القلة والذى يتشابه مع جوسق المئذنة المفقودة، وهذا المنبر قد فقدت أجزاء منه أعيد إصلاحها وقت تجديد المسجد.

سقف الإيوان : (لوحات ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦)

سقف هذا الإيوان سكندرى على جفت بزوايا، مدهون حريرياً ملمع بالذهب واللازورد[2] كما نصت على ذلك الوثيقة، والسقف السكندرى هو السقف المقسم إلى براطيم خشبية تحصر بينها طبالى وتماسيح، وكل ذلك مدهون بالإلوان المتعددة ومذهّب مع استعمال عناصر نباتيةوهندسية وأيضا كتابية فى تنفيذ زخارف السقف، والجفت الذى يرتكز عليه

(١) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر٢٦٤وجه.

(٢) الوثيقة نفسها سطر ٢٨٠-٢٨١ وجه.

والمعبر عنه فى الوثيقة بهذا المصطلح بمعنى الإزار، والذى تضمن نص تأسيس المدرسة، وأذا ما نظرنا إلى السقف الحالى للمدرسة والذى قامت اللجنة بتجديده بعد أن حدث به بعض الخلل[1] نراه ينطبق على ما سبق ذكره مما يؤكد تجديد السقف على نفس النسق القديم. (٣٤ش)، لوحة(٣٥).

القبة الضريحية : (ش٣٠) ، (لوحة ٤٠)

يجاور الإيوان من الجهة الشرقية باب يواجه الباب الذى يدخل منه إلى المدرسة، وهذا الباب يؤدى إلى القبة الضريحية، وهذه القبة تبلغ مساحتها (٧,٥٠م × ٢٠,٧م) لها ثلاثة جدران وجدار مشترك مع إيوان القبلة.

الجدار الشمالى الشرقى :

فتح فى هذا الجدار شباك عمقه(١,٢٠م)، واتساعها (١,٢٠م) ركب عليه مصبعات نحاسية، ووضع داخل دخله جدارية، سبق وصفها عند الحديث عن الواجهة الجنوبية الغربية للمدرسة، وعلى جانبى هذا الشباك توجد كتبيتان، اتساع كل منها(١,٢٠م)، وعمقها(١٥سم).

الجدار الشمالى الغربى :

وهذا الجدار يشتمل على شباك مائل عميق عمقه (١,٥٠م)، واتساعه (١,٥٠م)، وهذا الشباك وضع داخل دخله جدارية، سبق وصفها فى الواجهة الجنوبية الغربية، على يسار هذا الشباك توجد دخلتان مختلفة العمق والاتساع، الأولى: صغيرة اتساعها (١,٥٠م)، وعمقها (١٥سم)، والثانية: اتساعها (١,٢٠م)، وعمقها (٧٥سم) .

الجدار الجنوبى الشرقى : (لوحة ٣٨، ٣٩)

يتوسط هذا الجدار المحراب الذى يبلغ عمقه(٩٠سم)، واتساعه(١,٥٠م)، وهو يتكون من حنية نصف دائرية زخرف الجزء الأول منه بأشرطة رخامية متبادلة الألوان ومعقودة بعقود

---

(١) تم ذلك فى عام ١٩٥٦م حيث حدث الخلل فى سقف الإيوان القبلى نتيجة حدوث خلل فى سقف التخفيف العلوى الذى كان بحالة سيئة مما أدى إلى حدوث هبوط بالسقف وكسر كتلتين من كتل السقف المذكورة، وقد تم تقوية السقف بواسطة خوص حديدية، وتقوية سقف التخفيف بعد ذلك. انظر: ملف الأثر: أرشيف هيئة الآثار، رقم ١٩٥٦/١١/١٥/١٩١/٢٥٧م.

منكسرة، يلى ذلك شريط نصف دائرى من الرخام يتضمن بعض الكتابات الكوفية القرآنية التى طمس بعضها والبعض الآخر غير مقروء (انظر لوحة ٣٨، ٣٩) غير أن حسن قاسم يذكر أنها من سورة البقرة[١].

يلى ذلك زخرفة هندسية عبارة عن زخرفة زجزاجية متداخلة يليها طاقية المحراب التى زخرفت أيضا بأشرطة زجزاجية رخامية متبادلة الألوان، يلى هذه الطاقية عقد المحراب الذى يرتكز على عمودين من الرخام الذى لكل عمود تاج وقاعدة بصلية الشكل، ويعلو ذلك قمرية دائرية، ويعلو كل شباك، نافذة معقودة زخارفها من الجص المعشق بالزجاج.

يلى ذلك منطقة الانتقال التى عبارة عن مثلث مقلوب قاعدته لأعلى ورأسه لأسفل، تتكون هذه المنطقة من تسع حطات من المقرنصات، تحول بدن المربع إلى رقبة دائرية بها نوافذ معقودة بها زجاج معشق فى الجص يليها بدن القبة التى يبلغ ارتفاعها من أرض القبة إلى قطبها(٢٧م). فتح فى كل ركن من أركان منطقة الانتقال قندلية مركبة تتكون من ثلاثة شبابيك معقودة، ثم قمريتين فقمرية كلها مغشاة بالزجاج المعشق بالجص، وقد فقد بعض زجاج هذه القندليات.

وهذه القبة وأرضيتها ونوافذها مع أرضية المحراب، والنوافذ الخمسة وجدران المدرسة قد كسيت بالرخام الملون، والجدران بوزرة رخامية[٢] سقطت الآن ولم يتبق منها سوى جزء سجل عليه كتابة كوفية نصها "بسم الله الرحمن الرحيم" على يسار محراب الإيوان (انظر لوحة ٢٧، شكل ٣٢).

الإيوان الشمالى الغربى : (لوحة ٤١)

هذا الإيوان ضاعت معالمه باستثناء العقد الذى كان يفتح بكامل اتساعه على الدور قاعة، وتشير الوثيقة إلى وصف هذا الإيوان (انظر: ش٣٣)

والذى يمكن بواسطته إعادة تخطيطه للوضع الذى كان عليه فقد كان يتكون من إيوان يواجه إيوان القبلة به على اليمين واليسار ست كتبيات متشابهة، على كل واحدة منها زوجاً باب من الخشب النقى المدهون بالألوان المتعددة.

---

(١) حسن قاسم: المزارات الإسلامية، جـ٥، ص٤١٣.

(٢) الوثيقة ٤٧/٣١٣، وسطر ٢٨٠ وجه.

ويتصدر هذا الإيوان سدلة. كانت تحتوى على يمين الصاعد إليها كتبيتين متطابقتين، ركب على كل منهما زوجاً باب خشباً نقياً مدهوناً بالألوان المتعددة، وبهذه السدلة باب يـؤدى إلى سلم يصعد من عليه إلى دكة للمؤذنين. لها وجه درابزين خشب مقامة على رواشن خشب[1]. وهذا الوصف ضاعت معالمه الآن، وضاعت بالتالى مساحة هذا الإيوان. (انظر المسقط الحالى للمدرسة، ش٣٣).

وعلى ذلك يتضح أن الجزء المقتطع من هذا الإيوان قد أدخل فى توسيع الميضأة بحكم هدم هذا الجزء، والذى ترك هكذا إلى أن أقيم الحائط التى سدت عقد الإيوان، ووضعت على هذا الحائط دكة المبلغ بسلم خشبى طائر من عهد عباس حلمى الثانى _انظر لوحة ٢٨).

السدلتان :

تفتح كل منها على الدور قاعة بكامل اتساعها بفتحة معقودة بعقد مدبب ممتـد اتـساعها (١,٠٥م)، وعمق كل منها (٢,٢٥م) غطيت كل سـدلة بـسقف خـشبى مثـل بقيـة أجـزاء المدرسة، وقد زخرف المستوى العلوى لعقد كل سـدلة بعقـد منكـسر، وعلـى يمـين الـسدلة الجنوبية الغربية توجد دخلة حائطيـة ربمـا اسـتعملت ككتبيـة اتـساعها (١,٣٥م)، وعمقهـا (٧٥م)، وهى تقابل الباب الثالث الذى يؤدى إلى الميضأة وباب سر المدرسة.

باب سر المدرسة والميضأة :

يؤدى الباب الذى يجاور إلى السدلة الشمالية الشرقية من جهتها الغربية عن طريق ممر أو دهليز لطيف إلى الباب الثانى للمدرسة، والذى يؤدى إليه والـذى ذكـرت عنـه الوثيقـة أنـه مربع[2] وحدد بهيئة مقنطرة تعلوه طاقة برسم النور والهوى عليه مصراع خشبى مفقود الآن.

والدهليز مبلط بالبلاط الكدان مسبل الجدر بالبياض، مسقف نقياً، يؤدى هذا الدهليز إلى باب مربع يغلق عليه فردة باب يخرج منه إلى دركاة ثانية اشتملت على أربعة أبواب منها الباب المذكور، والثانى: يقابله يؤدى إلى الميضأة، أما الثالث: فيغلق عليه فردة باب تـؤدى إلى سـلم معقود بالبلاط الكدان يؤدى إلى رواق وقاعة بالطـابق الثـانى خصـصت لإقامـة المـستحقين بالمدرسة.

---

(١) وثيقة ٤٧/٣١٣، وسطر ٢٦٥، ٢٦٦ وجه.

(٢) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣-٢٧٧.

أما الباب الرابع فهو مربع عليه فردة باب هو باب سر المدرسة، يعلوه شباك نحاسى يخرج منه إلى بسطة ثانية فى الواجهة الشمالية يؤدى إليها سلم من إحدى عشرة درجة، كانت توجد على يمين ويسار الباب المذكور مطبقان، والبسطة لها دروة من الحجر الأحمر الفص النحيت، لها رمامين تشبه تلك التى تشتمل عليها بسطة المدخل الرئيسى للمدرسة.

وهذا الجزء من المدرسة تغيرت معالمه تماماً، فالدهليز اللطيف يفتح مباشرة على الميضأة والباب الثانى (باب سر المدرسة) فقدت أجزاؤه المعمارية من دركاة ومصاطب وبسطة ودروة ورمامين ودرج، وكذلك الأبواب الأربعة التى اشتملت عليها الدركاة، والتى وصفتها الوثيقة مما يسهل عملية إعادة تخطيط هذا الجزء من المدرسة.

الميضأة : (انظر ش٣٣)، (ش٣٥)، (لوحة ٤٢)

تشتمل الميضأة الآن على ثمانية بيوت خلاء، وهذا التخطيط يخالف التخطيط الذى كانت عليه وقت الإنشاء، حيث كانت تشتمل على ست بيوت خلاء، وفسقية وحنفية ومستحم[١].

الطابق الثانى للمدرسة : (انظرش٣٦)

نصل إلى هذا الطابق من خلال سلم الواقع على يمين الداخل إلى دهليز المدرسة الذى يلى دركة المدخل الرئيسى، وكذلك من الباب الذى كانت تضمه الواجهة الشمالية الشرقية، والذى كان يؤدى إلى دركة، بها باب يؤدى إلى سلم يصعد منه إلى الطابق الثانى للمدرسة، كذلك يمكن الوصول إلى هذا السلم من خلال السلم الذى يؤدى إلى دكة المبلغ التى اشتمل عليها الإيوان الشمالى الغربى[٢].

وهذا الطابق يشتمل على طبقة تحتل المساحة التى شغلتها خلوة الخطيب والمزملة وهى مساحة مستطيلة تبلغ (٦ × ٢,٥٥م)، فتح فى الجهة الشمالية الشرقية منها شباكان، وشباك آخر فى الجهة الشمالية الغربية يطلان على الإيوان القبلى والدهليز الذى يتقدم باب الدخول إلى المدرسة. وقد خصصت لسكنى الموظفين المعينين بالمدرسة، وهذه الطبقة كان لها ما يماثلها فى الجهة التى بها المدخل الثانى للمدرسة غير أنها فقدت.

---

(١) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٢٧٢ وجه.

(٢) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٢٦٧ وجه.

المئذنة : انظر الرسم التخيلى لها (ش٣٧)

سقطت هذه المئذنة سنة ١٨٨٤م[١]، غير أن الوثيقة احتفظت بوصفها، وموقعها.

فمن حيث الموقع، فقد احتلت الجانب القبلى من الواجهة بجوار النافذتين اللتين تفتحان على الطريق من الدركاة، وهى فى ذلك تتشابه مع موقع مئذنة مدرسة الغورى بالغورية.

ومن ناحية مكوناتها، فقد ذكرت الوثيقة أنها كانت تشتمل على ثلاثة أدوار، لكل دور درابزين حجر مخرم الأول منها دور المؤذنين بوسطه شمعة يعلوها الدور الثانى به أعمدة حاملة للدور الثالث الذى به القمة والخوذة مغروز بها هلال من النحاس الأصفر والصوارى برسم القناديل[٢]. ومن خلال الوصف التفصيلى لمشتملات المدرسة حديثاً وقديماً، يمكن إجمال عناصرها المعمارية التى اشتمل عليها الجزء الداخلى منها فى الآتى:

التخطيط العام للمدرسة – الدور قاعة – الإيوانات الجانبية – القبة الضريحية – التوسعة فى الإيوان الغربى – دكة المبلغ – العقود – الأعمدة (تاج مقرنص – رمانى) – (الكتبيات)، العناصر الزخرفية (نباتية – هندسية – كتابية).

تخطيط المنشأة :

تتبع المنشأة تخطيط المدارس ذات النظام المتطور القائم على دور قاعة وسطى وإيوانين وسدلتين، وهو النظام الذى انتشر بين منشآت العصر المملوكى الجركسى[٣].

وقد مرت نظم المدارس التخطيطية بمراحل تطورية بدأت فى العصر الأيوبى بنظام المدرسة ذات الإيوانين كما فى مدرسة الحديث الكاملية (٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)[٤]، والتى اقتبس تخطيطها من تخطيط الدار ذات الصحن المكشوف التى تعود للعصر الطولونى[٥].

وقد تكرر شكل هذه المدرسة فى المدرسة الصالحية (٦٤١هـ/ ١٢٤٣م)، حيث كان مدخلها يؤدى إلى دهليز مستقيم فى كل من جانبيه باب يؤدى إلى فناء مستطيل ينتهى فى كل

---

(١) محاضر لجنة حفة الآثار العربية لسنتى ١٨٨٧، ١٨٨٨م، جـ٥، ص٤٠.

(٢) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٢٨٤، ٢٨٥ وجه.

(٣) مصطفى نجيب: المرجع السابق، ص٢١.

(٤) فريد شافعى: العمارة العربية فى مصر، ٢٥٢.

(٥) عباس حلمى: تطور المسكن المصرى الإسلامى من الفتح العربى حتى الفتح العثمانى (مخطوط) رسالة دكتوراه، آداب القاهرة ١٩٦٩م، ص٥١٨.

ضلع من ضلعيه الصغيرين بإيوان[١]، حيث خصص كل إيوان لتدريس مذهب من المذاهب الأربعة[٢]، ومن ثم فإن هذه المدرسة تعد أولى المدارس فى مصر التى خصصت لتدريس المذاهب الأربعة، باشتمالها على أربعة إيوانات وهى فى ذات الوقت تحمل إرهاصات البداية لتكوين المدرسة الرباعية فى العصر المملوكي، الذى توالى فيع إنشاء المدارس على يد السلاطين، والأمراء وغيرهم من الأثرياء.

وتعد المدرسة الظاهرية (٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م) من أولى المدارس المملوكية التى ظهر بها التخطيط المتعامد، والذى خصص فيها إيوانين لتدريس المذهب الشافعى، والمذهب الحنفى، هما الإيوان الجنوبى الشرقى، والشمالى الغربى، أما الإيوان الشمالى الشرقى فقد خصص لدراسة الحديث، والجنوبى الغربى للقراءات السبع[٣]، وقد اندثرت هذه المعالم ولم يتبق منها سور جزء صغير من المدخل وكتلة السبيل واتبع نفس التخطيط المتعامد فى المدرسة المنصورية (قلاوون) (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، حيث كانت تشتمل على صحن، وأربعة أواوين، إيوانين كبيرين: هما إيوان القبلة والإيوان المقابل له، وإيوانين صغيرين فى الجانبين، بالإضافة إلى مساكن الطلبة والمدرسين، وكان يتوسط الصحن فسقية أو نافورة للوضوء[٤]، غير أن معالم هذه المدرسة قد تغيرت بحكم التجديدات التى أحدثت بها فى عصور تالية[٥].

وبعد ذلك شاع استعمال هذا التخطيط عند تشييد المدارس فى ذلك العصر، والتى وصل إلينا منها: المدرسة الناصرية بالنحاسين (٦٩٥-٧٠٣هـ/ ١٢٩٥-١٣٠٤م)[٦]، ومدرسة زين الدين يوسف بالقادرية (٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)، ومدرسة آل ملك الجوكندار (٧١٩هـ/ ١٣٥٩م)، ومدرسة صرغتمش (٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م)[٧]، ومدرسة السلطان حسن (٧٥٧-٧٦٤هـ/ ١٣٥٦-١٣٦٢م)[٨]، ومدرسة أم السلطان شعبان (٧٧٠هـ/ ١٣٦٩م)، ومدرسة الجاى

---

(١) حسن الباشا: دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعمارى، ص٤٤.

(٢) لم يبق من هذه المدرسة سوى واجهتها ومئذنتها والإيوان الشمالى الغربى وجزء من الإيوان المقابل له، والهيئة بصدد ترميم هذه الواجهة، والمئذنة وإخلاء إشغالات الواجهة.

(٣) حسن الباشا: المرجع نفسه، ص٤٦، ش٨، ٩.

(٤) المرجع نفسه: ص٤٧.

(٥) كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣، ص٣٨.

(6) Creswell, (K.A.C), The Muslim Architecture Of Egypt, Vol II, P, 128.

(7) Kessler, Op.cit, Plan, 6.

(8) Wiet, Op.cit, Pl, 39.

اليوسفى (٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) بسوق السلاح[١].

وفى العصر الجركسى استمر هذا الطراز معروفاً فى مدارس هذه الفترة، وهو الطراز المتعامد على صحن مكشوف، كما فى مدرسة برقوق[٢] (٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)، ومدرسة جمال الدين الإستادار (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، ومدرسة الأمير عبد الغنى الفخرى (٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، ومدرسة القاضى عبد الباسط (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، ومدرسة الأشرق برسباى (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م)[٣]، ومسجد جانى بك بالمغربلين (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)[٤].

بعد ذلك ظهر طراز آخر يعتمد على طرقة وسطى يعلوها شخشيخة ويفتح عليها إيوانان ببائكة من عدة عقود، ومن أمثلة ذلك الباقية: جامع فيرزوز الساقى (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م)[٥]، وجامع الأشرف برسباى بجبانة المماليك (٨٣٥هـ/ ١٤٣١م)[٦]، ومسجد سيدى مدين بباب البحر (٨٤٢-٨٤٣هـ/ ١٤٣٨-١٤٣٩م)[٧]، وجامع تميم الرصافى بالسيدة زينب (٨٧٦هـ/ ١٤٧٢م)، وأخيراً جامع جانم البهلوان بالسروجية (٨٨٣-٩٢٦هـ/ ١٤٧٨-١٥١٠م)[٨].

وقد لازم هذا الطراز طرازاً آخر يعتمد على دور قاعة وسطى وإيوانين كبيرين وآخرين صغيرين أطلقت علهم وثائق هذه الفترة اسم السدلتين، وهو الطراز المعبر عنه بالطراز المعمارى المتطور للمدرسة[٩]، والذى يمثله هنا هذه المدرسة موضوع البحث، ومن قبلها مدرسة تغرى بردى بالصليبية[١٠](٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)، ومدرسة قايتباى بالصحراء (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)[١١].

---

(١) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، جـ٢، ص١٥٠.

(٢) المرجع السابق: ص١٩٥.

(3) Kessler, Op.cit. Plan, 2.

(٤) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، جـ١، ص٢١٩.

(٥) حسنى نويصر: مدرسة الأمير فيروز الساقى بالقاهرة، مجلة الأزهر، جـ٢، السنة٥٥.

(6) Hauteacaeur rt Wiet, Op.cit. P 308.

(٧) محمد الجهينى: المرجع السابق، ص١٦٣- ١٩٠.

(8) Ibid, P,310.

(٩) مصطفى نجيب: نظرة جديدة على النظام المعمارى للمدارس، ص٢١؛ لين بول: سيرة القاهرة، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون، القاهرة، ١٩٥٠، ص٢٠٨.

(10) Ibid, P, 312.

(11) Ibid, P, 312.

وأيضاً جامع قجماس الإسحاقى بالدرب الأحمر (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)[١]، والمدرسة الغورية (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م)[٢].

ومما سبق يتضح أن التخطيط الذى سارت عليه المدرسة منذ العصر الأيوبى قد انقسم إلى طرز ثلاثة هى:

١) طراز الصحن المكشوف الذى تتعامد عليه الإيوانات، والذى استمر حتى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى / ١٥م.

٢) طراز المجاز المغطى بشخشيخة والذى يفتح عليه إيوانان ببائكتين معقودتين والذى ظهرت أولى نماذجه الدارسة فى بداية العصر الجركسى فى زاوية الأبناسى بباب البحر، وتعود نماذجه الباقية إلى النصف الأول من القرن (٩هـ/ ١٥م) كما سبق وأن أشرت.

٣) الطراز الثالث، وهو طراز المدرسة ذات الدرقاعة المغطاه بشخشيخة، يتعامد عليها إيوانين وسدلتان، وقد ظهر بشأن الطراز الأول عدة آراء تحاول تأصيله، ومنها ما ذكره فان برشم من أن هذا الطراز قد ظهر أولاً فى سوريا فى قصر الأمان كما ظهر كذلك فى الكنائس السورية البيزنطية، وعلى ذلك فقد أرجع برشم النظام المتعامد إلى العمارة السورية سواء فى المنازل أو الكتائس البيزنطية[٣].

كما أرجع مكس هرتس[٤] أصل هذا التخطيط إلى بلاد الفرس أما كريزول فقد أرجعه إلى نظام القاعة المصرية[٥]، فى حين أرجعه أحمد فكرى إلى الفن الإسلامى[٦].

أما من حيث الوظيفة التى كان يقوم بها هذا التخطيط، فقد اختلفت أيضاً وجهات نظر العلماء ما بين الكنيسة[٧]، والقاعة[٨]، والدار[٩]، والمسجد[١٠].

---

(1) Ibid, P, 312.
(2) Ibid, P, 312.
(3) Berchem, (M.Van), The Principal Forms Of Islamic Religios Buildings (Syro-Egyption School), Encyclo-Pedia Of Islam, Vol, I, P.P, 422-425.
(٤) مكس هرتس: محاضر لجنة حفظ الآثار العربية لسنة ١٩٠٤م المجموعة (٢١)، ص١٠٢.
(5) Creswell, (K.A.C), The Origine Of Cruciform Plan Of Cairene Madrassas, Le Caire 1922, P,43-45.
(٦) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، جـ٢، دار المعارف ١٩٦٩، ص١٨٣-١٩٢.
(7) Van Berchem.
(8) Creswell.
(٩) عباس حلمى.
(١٠) أحمد فكرى الذى فند هذه النظريات ورد عليها وخرج بنظريته عن أصل هذا التخطيط فى كتابه السابق.

وقد فسر العالم الجليل أ. د./ حسن الباشا جوهر هذا النظام المعمارى فى ضوء النقاط الثلاثة الآتية:

١) الطراز المعمارى السائد فى المنشآت الإسلامية آنذاك.

٢) وظيفة المدرسة.

٣) الظروف البيئية المعمارية التى نشأت فيها المدرسة.

وهذه النقاط قد خدمت مراحل تخطيط المدرسة عبر العصور، فلو طبقنا هذه النقاط الثلاث على المدرسة المكونة من إيوانين التى عرفها العصر الأيوبى لتبين الآتى:

١) استبدال بيت الصلاة فى التخطيط المسجدى بإيوان كبير معقود يطل على صحن مكشوف خصص للصلاة، مع استبدال الرواق المواجه له بإيوان آخر خصص لتدريس الحديث. أما الأروقة الأخرى الجانبية فقد استبدلت بأماكن خصصت لإقامة الطلبة والمدرسين بما يتواءم مع الوظيفة المشيدة من أجلها، وعندما دعت الحاجة إلى تخصيص مدارس لتدريس المذاهب الأربعة مع قيامها بمهمة المسجد الجامع، خصصت قاعات إيوانية محورية متعامدة على الصحن، مع ضرورة إيجاد مسكان للطلبة والمدرسين وضعت مداخلها بين الأواوين، وبذلك يمكن القول: إن مساكن الطلبة هى التى دعت إلى إيجاد هذا النظام المعمارى المتعامد للمدارس[١]، والذى لازم عمائر العصر المملوكى الدينية –دون التقيد بتدريس مذهبين أو أربعة– بجانب الطراز المسجدى القائم على صحن وأروقة.

أما النمط الثانى والثالث فقد أدت أسباب عديدة إلى ظهوره منها:

١) سيادة مذهبين أساسيين هما: المذهب الحنفى والمذهب الشافعى، ومن ثم لم تعد هناك حاجة إلى أربعة إيوانات فى المدرسة، والاكتفاء باثنين فقط[٢].

٢) محاولة المعمار القيام بعملية تناسق بين الكتل المعمارية التى تحتوى عليها المنشآت بعد أن كثرت ملحقاتها وتعددت وظائفها، فابتعد عن الضخامة حتى يستطيع أن يدمج تلك الملحقات بعد عملية الملائمة حول كتلة محورية على مساحة محدودة الرقعة[٣].

وقد تنج عن ذلك سمات معمارية منها:

---

(١) حسن الباشا: دراسة جديدة فى نشأة الطراز المعمارى للمدرسة، ص٤٤–٥٦.

(٢) لين بول: سيرة القاهرة، ص٢٠٨.

(٣) مصطفى نجيب: نظرة جديدة على تلنظام المعمارى للمدارس، ص٢١.

١) صغر مساحة الصحن بالدرجة التى صار معها صحناً مغطى ، إما بسقف يتوسطه شخشيخة أو بسحابة متحركة، مما دفع وثائق هذه الفترة إلى إطلاق لفظة دور قاعة على هذا الصحن المغطى وذلك نظراً للشبه الكبير بينه وبين دور قاعات المنازل.

٢) صغر حجم الزخارف التى كانت تنفذ بالرخام لتزيين مسطح الصحن.

٣) اختفاء عنصر الميضأة الذى كان يتوسط الصحن فى منشآت عصر المماليك البحرية وبعض عمائر الجراكسة فى النصف الأول من القرن (٩هـ).

وتمثل مدرسة بيبرس الخياط هذا الطراز أصدق تمثيل فى نهاية العصر المملوكى الجركسى، رغم أنها اشتملت على كافة العناصر المعمارية التى كانت تشتمل عليها منشآت العصر البحرى من المداخل التذكارية التى يتقدمها بسطة يؤدى إليها درج سلم يبرزها. ومن هذه المداخل ضمت المنشأة مدخلين، وكذلك مئذنة فى مؤخرة الدركاة من الجهة القبلية كما فى مدرسة الغورى، ودهليز به مزملة وصهريج، وسلم يؤدى إلى مساكن الطلبة والوظفين ودور قاعة مغطاه لها شخشيخة من الخشب الخرط، وإيوان للصلاة، وقبة ضريحية، وإيوان مقابل له وسدلة بها دكة مبلغ، وبييوت خلاء، ومستحم وميضأة، مع جملة من الموظفين والطلبة الصوفية وعدد من الأثاث وأدوات الإضاءة، وكرسى مصحف ومصحف وقفه المنشئ للقراءة به كل يوم. كما ذكرت.

وهذه المشتملات هى نفسها التى ضمتها منشآت العصر البحرى، وإن كانت مساحتها فى ذلك العصر أكبر من مساحات العصر الجركسى.

٢) **الدور قاعة** :

ظهر عنصر الدورقاعة فى العمارة الدينية فى القرن الخامس عشر فى منشآت العصر الجركسى نتيجة طبيعية لتصغير مساحة الصحن التى قد تغطى بالشخشيخة (دور قاعة) أو لا تغطى، وقد تشابهت هذه الدور قاعات مع دور قاعات المنازل(١)، فانسحب اسمها عليها أيضاً، ومن أمثلتها المغطاه مدرسة جوهر اللالا (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، وغير المغطاه مدرسة تغرى بردى بالصليبية وغيرها من المدارس التى تنتهى بمدرسة بيرس الخياط (٩٢١هـ/ ١٥١٥م).

(1) Hoag, (J.D), Western Islamic Architecture London, 1968, P. 36.

الإيوانات الجانبية :

عرفت الإيوانات فى مصطلح العمارة بأنها المساحة المحصورة بثلاثة جدران من جهاتها الثلاثة أما الجهة الرابعة منها فتكون مفتوحة بكامل اتساعها على الصحن أو الدور قاعة[١]، وقد عرفت الإيوانات قبل الإسلام فى العمارة الساسانية، وكانت من التقاليد المعمارية المتوارثة عند الإيرانيين والتى دخلت كعنصر معمارى فى تصميم المدرسة الإسلامية[٢].

وقد أطلقت وثائق العصور الوسطى على هذه الإيوانات الجانبية خاصة فى العصر الجركسى اسم "سدلات" اعترافاً منها بصغر مساحتها التى لا ترقى لمساحة الإيوان، وقد غطيت الإيوانات –قبل العصر الجركسى– بالأقبية، أما فى النظام المدرسى المتطور فقد غطيت بأسقف خشبية مدهونة.

القبة الضريحية :

عرفت القباب منذ أقدم العصور فى العراق[٣]، ومنها انتقلت إلى الإيرانيين ثم إلى الأقباط والبيزنطيين، وأخذها المسلمون وأقبلوا على استعمالها فى الأضرحة حتى أطلقت جزءاً على الكل وصارت كلمة قبة تعنى الضريح كله[٤].

ومن أقدم القباب فى الإسلام قبة الصليبية(٢٤٧هـ/ ٨٦١م)[٥]، ومن أقدم القبور الملحقة بالمساجد قبر الرسول ﷺ بالمدرينة المنورة. وفى مصر نجد أن ظاهرة إلحاق القباب بالمنشآت الدينية قد بدأت منذ العصر الأيوبى عندما شيدت شجر الدر زوجة الملك الصالح أيوب قبة ضريحية لزوجها لصق مدرسته بشارع المعز.

وزادت فى عصر المماليك العناية بإنشاء القباب الملحقةبالمدارس والمساجد، ومن أمثلتها قبة المنصور قلاوون بالنحاسين، والسلطان حسن، والسلطان برقوق، ومسجد جانى بك بالمغربلين، وقايتباى بالصحراء، وبيبرس الخياط بالجوذرية.

---

(١) حسن عبد الوهاب: المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، ص٣١، وفريد شافعى: العمارة العربية، ص١٥٩
Hill (D), Op.cit, P, 93.

(٢) فريد شافعى: المرجع نفسه، ص١٥٩.

(٣) فريد شافعى: المرجع نفسه، ص١٦٦–١٦٨.

(٤) توفيق عبد الجواد: تاريخ العمارة والفنون الإلامية، القاهرة، ١٩٧٠م، جـ٣، ص٥٨–٨٥.

(٥) كمال الدين سامح: العمارة فى صدر الإسلام، المؤسسة المصرية العماة للتأليف والترجمة والنشر، ص١٧، ١٨.

وقد لازم هذه القباب عنصر آخر هو عنصر المقرنصات التى استعملت فى قبة بيبرس لتحويل مربع القبة إلى دائرة، وبلغ عددها تسع حطات وهى هنا قمة ما وصل إليه هذا العنصر من تطور خلال عصور مصر الإسلامية.

فقد بدأت هذه المقرنصات فى العصر الفاطمى بحنية واحدة على هيئة نصف قبة كروية يتصدرها عقد يؤطرها، وذلك فى مساجد الحاكم والجيوشى والأزهر، وكذلك فى مشاهد السبع بنات وإخوة يوسف والحصواتى[١].

تطورت بعد ذلك فى مشهد السيدة رقية، والسيدة عاتكة والجعفرى، ويحيى الشبيه، والتى تتكون فيها المقرنصات من حطتين.

تطورت بعد ذلك فى نهاية العصر الفاطمى لتصبح ثلاث حطات فى قبة أبى الغضنفر أسد الفائزى سنة (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)[٢]، واستمرت فى العصر الأيوبى تتأرجح بين حطتين كما فى قبة الخلفاء العباسيين وشجر الدر وثلاث حطات كما فى قبة الإمام الشافعى وقبة الصالح أيوب[٣].

وتطورت بعد ذلك فى العصر المملوكى البحرى لتصبح أربع حطات فى قبة مدرسة حسام الدين طرنطاى كما سبق ذكره، وسارت بعد ذلك فى مدارج الرقى، فبلغت فى مدرسة السلطان حسن سبع حطات[٤]، وفى قبة مدرسة قايتباى بالصحراء تسع حطات[٥] وكذلك قبة مدرسة بيبرس الخياط التى بلغ عدد حطات مقرنصها تسع حطات.

امتداد الإيوان الشمالى الغربى :

هى ظاهرة بدأت فى العارة الإسلامية فى مصر فى خانقاة بيبرس الجاشنكير بالجمالية ثم اتخذها معمار العصر الجركسى كوسيلة لتوسعة إيوان القبلة والإيوان المقابل له فى النظام المتطور، وقد اختلفت هذه الامتدادات من منشأة إلى أخرى فنجدها فى مسجد تمراز الأحمدى (٨٧٦هـ/ ١٤٧٢م) على مستوى الأرضية الرئيسية لإيوان القبلة، بينما نجدها فى مدرسة

---

(١) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، جـ١، (العصر الفاطمى)، دار المعارف ١٩٦٥، ص١٦٥.

(٢) المرجع نفسه: ص١٦٥، ١٦٦.

(٣) أحمد فكرى: جـ٢، لوحة (٩، ١٢).

(٤) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، جـ٢، لوحة ١٠٩.

(٥) دولت عبدالله: معاهد تزكية النفوس فى مصر، القاهرة ١٩٨٠م، ص٢٢٣.

الغورى قد ارتفعت أرضيتها عن أرضية إيوان القبلة[١]، وفى مدرسة بيبرس الخياط نجد أن الوثيقة قد أشارت إلى اشتمال الإيوان من جهته الغربية على سدلة بها دكة المبلغ. وهو أسلوب جديد استعمل لتوسعة الإيوان الغربى من الناحية الغربية بعد أن استخدم فى مدرسة الأشرف قايتباى بالصحراء أسلوب التوسعة الجانبية فى الإيوان الغربى أيضاً.

دكة المبلغ :

أقامها المنشئ ووقفها وخصصها لإقامة الصلوات من جمعة وجماعات بالإضافة إلى استعمالها عند قراءة الأوراد والأذكار، وكذلك التأمين عند صالح الدعوات عقب المفروض والسنن[٢]. وقد صنعت من الخشب، وضمت درابزين من الخشب الخرط، وحملت على "رواشن" خشبية، وكان يتوصل إليها من خلال سلم فى الحائط وليس بواسطة السلم الطائر الموجود الآن. وهذه الدكك كان مقامها فى العصر المملوكى البحرى مؤخرة إيوان القبلة كما فى جامع شيخو الناصرى (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)[٣]، ومدرسة السلطان حسن[٤] والسلطان برقوق[٥]. وفى بعض الأحيان وجدت فى الإيوان الشمالى الغربى كما فى جوهر اللالا (٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م)، ومدرسة الغورى[٦]، وهذه المدرسة (بيبرس الخياط).

العقود :

اشتملت المدرسة على أنواع عديدة من العقود منها: العقد المستقيم، والعقد العاتق، والعقد المنكسر، والعقد المدبب، وقد سبق تناول الأنواع الثلاثة الأولى فى الفصل الأول والثانى من هذا الباب.

أما العقد المدبب فقد اشتملت عليه هذه المدرسة متوجا حنية محراب الإيوان القبلى وحنية محراب القبة، وعقد إيوان القبلة، والإيوان المقابل له، والمسدود الآن بحائط يفصل بينه وبين دورة المياه، وهذه العقود عرفت بالعقود المدببة حدودة الفرس، أما عقود السدلتين فهى من

---

(١) مصطفى نجيب: المرجع السابق، ص١٩.

(٢) الوثيقة ٤٧/٣١٣، سطر ٣١٢، ٣١٣ وجه.

(٣) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، جـ١، ص١٥٩.

(4) Wiet, The Mosques Of Cairo, P1, 40.

(٥) حسن عبد الوهاب: المرجع نفسه، ص١٩٦.

(٦) المرجع نفسه، ص٢٩١.

نوع العقود المدببة المشمورة أو ممتدة الأرجل، غير أن كل هذه العقود مجددة فى فترات لاحقة أقربها تجديد عباس حلمى الثانى لهذا الأثر، مما يخشى معه ضياع الشكل الذى كانت عليه هذه العقود أثناء التجديدات؛ لهذا سأكتفى بالعقد المدبب الذى يتوج حنيتى المحراب فى الإيوان والقبة ومراحل تطوره.

وهذا النوع من العقود عرفه المسلمون عندما فتحوا الشام وفارس، ثم انتقل إلى العراق، وقد امتاز هذا النوع من العقود بقابليته للتنفيذ بالإضافة إلى صلاحيته لمستلزمات الإنشاء حيث كان أوسع نسبيا، وأكثر تحملا لما يعلوه من أسقف، وهذه المزايا جعلت المسلمين يقبلون على تنفيذه فى عمائرهم[١].

وقد ظهر أول استخدام لهذا العقد فى الجامع الأموى بدمشق(٩٦هـ/ ٧١٤م) [٢]، ثم فى تغطية فتحات مآخذ المياه بأسفل بئر مقياس النيل بالروضة زمن الخليفة العباسى المتوكل(٢٤٧هـ/ ٨٥٥م)[٣] ثم ظهر بعد ذلك فى مسجد أحمد بن طولون (٢٦٥هـ/ ٨٧٩م)[٤]، وانتشر استعمال هذا العقد انتشارا واسعا فى عمائر العصر المملوكى البحرى والجركسى حيث تمثل هنا فى هذه المدرسة فى المواضع التى ذكرتها آنفا.

الأعمدة :

وجد منها نوعان: الأول له تاج مقرنص، وضعه المعمار فى زوايا المبنى الخارجية ليشير إلى نهاية الجزء الموضوع به من الواجهة، ونوع آخر له تيجان بصلية الشكل، وقواعد كرية يشتمل عليه محراب الإيوان القبلى والقبة.

١ – الأعمدة ذات التيجان المقرنصة :

استعملت هذه التيجان بكثرة فى قصور الأندلس كقصر الحمراء بغرناطة وغيرها[٥]. ومن ثم فإن وجودها على هذا الأثر يشير إلى تأثره بهذا الأسلوب المنفذة به الأعمدة لديهم، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى التواجد الأندلسى داخل الحى فى هذا العصر.

---

(١) فريد شافعى: المرجع السابق، ص

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٠٧.

(٣) كمال الدين سامح: المرجع السابق، ص ١٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٠.

(٥) كمال الدين سامح: المرجع السابق، ص ٨٠.

٢ – التاج البصلى أو الناقوس (الرومانى) :

لم يكن للمسلمين فى بادئ الأمر طرز معمارية خاصة كالرومان والإغريق لاستعمالها فى الأعمدة والتيجان، فقد كانوا ينقلون الأعمدة من المعابد والكنائس الخربة إلى مساجدهم فى بادئ الأمر، وفى بعض الأحيان كانوا يقلدونها إلى حد كبير.

وقد وجدت اقدم أمثلة الأعمدة ذات التيجان الناقوسية أو الرومانية فى أطلال قصر الخليفة المعتصم فى سامراء (الجوسق الخاقانى)، والتى أخذ العرب تصميمها عن الفرس، وفى مصر توجد أقدم أمثلتها فى مقياس النيل بجزيرة الروضة وهى تكتنف الفتحات المعقودة بعقود مدببة والمستعملة كمآخذ للمياه، وظهرت بعد ذلك فى تيجان الأعمدة التى تحمل عقود البائكات فى أروقة جامع بن طولون، وشاع بعد ذلك استخدامها فى كثير من المساجد[1] والمدارس مثلما نشاهد هنا فى أعمدة محرابى إيوان القبلة والقبة فى مدرسة بيبرس الخياط والتى ينتهى فيها تاج عمودا محراب القبة بصف من الأوراق النباتية.

الكتبيات :

اشتملت المدرسة على عدد من الكتبيات وجد منها إيوان القبة كتبيتان، وبالقبة اثنتان، وبالإيوان الشمالى الغربى ست كتبيات، وينتهى هذا الإيوان بسدله اشتملت على كتبيتين، وكل هذه الكتبيات كان يغلق عليها زوجا باب من الخشب المدهون، وقد خصصت هذه الكتبيات لخزن الكتب التى يحتاج إليها طلبة العلم والمدرسون.

وهذا العنصر المعمارى عرف فى عمائر القاهرة الدينية منذ العصر الفاطمى إذ يوجد أقدم مثل باق فى الجامع الأقمر(٥١٩هـ/ ١١٢٥م) إذ تشتمل ظلة القبلة على مجموعة من الدخلات الحائطية ركب عليها من الخارج مصاريع خشبية وبعد ذلك شاع هذا العنصر فى عمائر المماليك.

الزخارف :

تنقسم الزخارف فى هذه المدرسة إلى ثلاثة أقسام :

زخارف نباتية.

زخارف هندسة.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٧٩.

زخارف كتابية.

١- الزخارف النباتية :

تتمثل الزخارف النباتية داخل وخارج هذه المدرسة فى تشكيل الشرفات على هيئة الورقة النباتية الخماسية، وزخرفة صنجات عقد كل محراب بورقة نباتية ثلاثية صغيرة.

ولم يكن استعمال هذه الزخارف قاصرا على العصر الجركسى فقط، وإنما عرفت هذه الزخارف كعنصر هام من عناصر الفن الإسلامى فى جميع عصوره .

٢- الزخارف الهندسية :

تتمثل الزخارف الهندسية فى استعمال المثلثات المتداخلة مع بعضها البعض وكذلك المعينات، وتنفيذ وحدات الطبق النجمى بالتفريغ مثل طريقة تنفيذ الزخارف الهندسية الأولى، وذلك فى جوانب البسطة ذات الرمامين التى تتقدم المدخل. (انظر لوحة ١٩،١٨، ش ٢٧، ش ٢٨). وكذلك فى استعمال الأشرطة الزجزاجية المتداخلة فى المحراب الخاص بإيوان القبلة ومحراب القبة وهيئتها الخارجية.

وفيما يختص بالطبق النجمى[١]، فقد عرفته مصر فى زخرفة الأخشاب منذ العصر الفاطمى وقد تمثل ذلك فى محراب خشبى متنقل من مشهد السبدة رقية يحتفظ به متحف الفن الإسلامى مؤرخ بسنة(٥٤٦هـ - ٥٥٥هـ) وتبدو فيه إرهاصات البداية لاستعمالات الطبق النجمى التى ستنتشر خلال العصرالأيوبى والمملوكى على الخشب، والحجر، وجلود الكتب وغيرها. أما الأشكال الهندسية التى منها المثلث والمربع والزجزاج فهى زخارف عم انتشارها عمائر المماليك.

٣ - الزخارف الكتابية :

استعمل الخط الكوفى وخط الثلث المتفرع عن النسخ فى تنفيذ الكتابات داخل هذه المدرسة. وقد نفذت بالخط الكوفى البسملة على يسار المحراب الخاص بإيوان القبلة، والتى أرجح أنها بداية لآيات قرآنية كانت تدور حول هذا الإيوان غير أنها فقدت(ش ٣٢).

أما خط الثلث فقد استعمل منه الطومار الذى نفذ به النص التسجيلى على الازار أسفل سقف إيوان القبلة والذى يمتاز بحروفه الكبيرة وألفاته ولاماته المرتفعة التى ترتفع إلى أعلى فى

---

(١) عن مكونات هذا الطبق، انظر: عبد اللطيف إبراهيم : جلدة مصحف بدار الكتب مجلة كلية الأدب، المجلد الثانى، جـ١، مايو ١٩٥٨م، ص ٩٧.

حين تنبسط حروفه الأفقية وتنزل إلى أسفل مما حقق لهذا الخط التوازن والتقابل[1]، مما أضفى عليه طابعاً زخرفياً بجانب صفته التسجيلية.

وبعد، فإن دراسة هذه المنشأة الهامة قد أسفر عن عدد من الحقائق أوردها فيما يلى:

١ – يعود تاريخ المدرسة إلى سنة(٩٢١هـ/ ١٥١٥م) وليس(٦٦٢) كما ذكر على مبارك، استنادا إلى نص الوثيقة، ونص ابن إياس، بالإضافة إلى النص المثبت بالإزار الخشبى اسفل إيوان القبلة.

٢ – اشتملت المدرسة على مئذنة من ثلاث دورات لها درابزينات حجرية مخرمة وقد سقطت هذه المذنة بالفعل سنة(١٨٨٤م) وقد أمكن إعادة تصور هيئتها فى ضوء الوصف الوثائقى.

٣ – اشتملت المدرسة على مدخلين أحدهما: الرئيسى، والآخر: باب سر المدرسة والذى كان موضعه شارع سيدى حبيب (المنجلة الآن) وهو يتشلابه تماما مع المدخل الرئيسى.

٤ – أثبت البحث أن المدرسة كانت مغطاة بوزرة رخامية ضاعت معالمها الآن ولم يتبق منها سوى قطعة رخامية على يسار محراب الإيوان القبلى عليها البسملة بالخط الكوفى.

٥ – كان للمدرسة قائم صفف مغطى بالرخام، لم يبق منه شئ الآن.

٦ – خصص الواقف بإيوان القبلة كرسى مصحف ومصحف كبير موجودين فى الوقت الحاضر.

٧ – للمدرسة إيوان شمالى غربى يختلف تخطيطه قديما عما هو عليه الآن، فقد كان يشتمل على سدلة فى نهايته وثمانى كتبيات ست فى الإيوان واثنتين فى السدلة.

٨ – أثبت البحث أن دكة المبلغ كانت فى سدلة الإيوان الشمالى الغربى، وكان يصعد إليها من خلال سلم حائطى وليس بسلم طائر كما هى عليه الآن.

٩ – كان للدور قاعة شخشيخة من الخشب الخرط، لإضاءة الدركاة فقدت فى عصرنا الحالى.

١٠– ضمت دورات المياه ست بيوت خلاء ومستحم وفسقية للوضوء مما يغاير الشكل الذى هى عليه الآن.

---

(١) حسين عليوه: الخط، مقال بكتاب القاهرة، ص ٢٧٩.

١١- جميع أبواب المدرسة الخاصة بالمدخل الرئيسى والمدخل السرى وباب القبة من الخشب المصفح بالنحاس والمثبت بالمسامير النحاسية عكس ما هى عليه الآن.

١٢- النوافذ الخارجية للمدرسة غشيت بالمصبعات النحاسية والمستبدلة الآن بمصبعات حديدية.

١٣- جميع أبواب الكتبيات والنوافذ صنعت من الخشب النقى المدهون عكس ما هى عليه الآن.

١٤- فقدت دركاة المدخل(الآن) نافذة من النوافذ التى كانت تطل على الطريق من جهتها الجنوبية الشرقية، والتى وضعت من الخارج داخل حنية رأسية مقرنصة، ضاعت معالمها ولم يتبق سوى واحدة فقط.

١٥- كان المدخل الخاص بسر المدرسة يؤدى إلى دركاة بها أربعة أبواب الأول: على اليسار يؤدى إلى المدرسة، والثانى: مواجه يؤدى إلى الميضأة، والثالث: على اليمين ويؤدى إلى سلم يؤدى إلى الطابق العلوى، أما الرابع فهو الذى يفتح على الدركاة من المدخل. وكل ذلك مفقود ويجب الإسراع بإعادة هذا الأثر الهام إلى سابق عهده نظرا لما اشتمل عليه من عناصر تشير إلى التطور الذى بلغته عمارة المدرسة الجركسية من خلال آخر عما فى هذا العصر.

** ** ** **

obeikandl.com

الفصل الرابع

جامع ابن العربى بالجوذرية

أثر رقم ٤٥٩

obeikandl.com

obeikandl.com

الموقع و التاريخ :

تناولت فى الفصل السابق موقع المدرسة الشريفية – التى شيد فوقها هذا الجامع – عند الحديث عن مدرسة بيبرس الخياط، وأوضحت أن مدرسة بيبرس الخياط لم تكن قد شيدت فوق مساحة المدرسة الشريفية استنادا إلى ما ذكره المؤرخون، والوثائق المعاصرة عن هذه المدرسة، وموقع المدرسة الشريفية، وانتهيت إلى أن موقع المدرسة الشريفية الآن هو نفسه موقع الجامع المعروف بالعربى، والذى ذكرت بعض المراجع[١] أن تاريخ بنائه يعود إلى ما قبل سنة(١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م)، وإن مشيده هو الشيخ العربى، غير أن ذلك ينافى الحقيقة إذ إن موقع الجامع الآن قد كان يشغله المدرسة الشريفية[٢] منذ تشيدها فى العصر الأيوبى، وحتى قام بتجديدها العلامة المحدث الشيخ على الشهير بابن العربى الفاسى المصرى المعروف بالسقاط[٣]. قبل سنة(١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م). وذلك على نفس النسق الذى كانت عليه أما البناء بشكله الحالى فهو من إنشاء السيد أحمد ابن الشيخ عبد السلام المغربى سنة(١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)[٤] بعد أن تخرب التجديد الذى أجراه بها الشيخ العربى.

---

(١) تعرض أ.د. محمد حمزة إسماعيل لدراسة هذا الجامع ضمن رسالته للدكتوراه، وذكر أن الآمر ببناء هذا الجامع" برسم زاوية " هو الشيخ على بن العربى، وذلك قبل سنة(١١٨٣هـ/١٧٦٩م) دون أن يثبت سنده فى ذلك، وقد جانبه الصواب فى ذلك، فلقد ذكر على باشا مبارك أنه جدد المدرسة الشريفية دون أن يقوم ببنائها زاوية. انظر: محمد حمزة إسماعيل: الطراز المصرى لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر العثمانى، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآثار، ١٩٩٠م، ص ٦١٣.

(٢) يشير السخاوى إلى بقاء هذه المدرسة تؤدى دورها المنوط بها خلال القرن التاسع وحتى بداية القرن العاشر، فقد ذكر ما يفيد قيام الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن قريش العامى بالتدريس بها وسكناه ايضا بها حتى توفى سنة(٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، والراجح أنها استمرت فى أداء رسالتها حتى سكنها الشيخ العربى بعد أن قام بتجديدها. انظر: السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جـ٢، مجلد١ ، ص ٨٤، ٨٥، على مبارك: خطط، جـ٣، ص ١٨٣.

(٣) الجبرتى: عبد الرحمن: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، جـ١، ص ٤٤٥/٤٤٦.

(٤) على مبارك: خطط، جـ٦، ص ٤٧، ٤٨. وثيقة الأمير على أغا كتخذا الأمير سليمان بك: رقم ٢٠٢/ الأوقاف مؤرخة بـ ١٥ ذى القعدة سنة(١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) سطر ٤٧، حيث ورد عن منشئ هذه الزاوية بما نصه" ... الزاوية المستجدة المعروفة بالشيخ عبد السلام المغربى" نتيجة دفنه بها فأتم إنشائها ابنه الحاج أحمد.

أما اسم العربى الذى انسحب على هذا الجامع فجاء نتيجة دفن الشيخ العربى به[1] تبركاً من المنشئ الأصلى له بإطلاق اسم الشيخ العربى عليه بدلا من إطلاق اسمه هو (المغربى).

المنشئ

هو الخواجا المعظم والتاجر المكرم السيد بن السيد عبد السلام المغربى الفاسى، نشأ فى كنف والده، وتربى فى العز والرفاهية حتى كبر فاشترك مع والده فى مباشرة عملياته التجارية فأخذ وأعطى وباع واشترى فاشتهر ذكره وعرف بين التجار، ولما توفى والده استقر مكانه فى التجارة، وعرفته الناس زيادة عن أبيه وصار يسافر كل سنة إلى الحجاز مثل أبيه لإجراء بعض العمليات التجارية، وقد اتخذ داره فى الموقع المواجه الآن للجامع المذكور الآن والذى قد اتخذه بعده أحمد المحروقى داراً له، فشيدها بعد أن أضاف إليها دكة الحسبة التى بجوار الفحامين، كما كان له داراً أخرى بالأزبكية، وقد بلغ هذا الرجل من الثراء مبلغاً كبيراً بعد أن توفى أخاه من أبيه المسمى بالعرايشى[2] بالحجاز وتصادف وجوده بها فوضع يده على جميع ممتلكاته، وتزوج بزوجته وأخذ جواريه وعبيده ورجع إلى مصر، واتسع حاله زيادة على ما كان عليه وعظم صيته وصار عظيم التجار وشاه البندر، وقد لازمه السيد أحمد المحروقى فى تجارته فأعجب بذكاءه فأسند إليه مباشرة بعض أعماله التجارية. وقد استمر كذلك إلى أن وافته المنية فى شعبان من عام (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)[3]. فغسل وكفن وصلى عليه بالمشهد الحسينى، ودفن بجوار أبيه بالجامع المذكور، وقد انعكس هذا الثراء العريض على الجامع الذى شيده وفقاً لطراز العصر والذى تبقى الآن منه كتلة المدخل الرئيسى والسقف الخشبى المزين بزخارف الزهور والفواكه وذلك بالألوان الزيتية المتعددة، وكذلك التخطيط العام للجامع الذى جدد بعد ذلك

---

(١) كان من أكابر التجار ووكلائهم المشهورين، حقق ثروة عظيمة بالحجاز التى اتخذها مقرا لعملياته التجارية، انظر الجبرتى: المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٢٦.

(٢) الجبرتى: المصدر نفسه، ٣٢٦.

(٣) لهذا الرجل شاهد قبر محفوظ داخل الجامع عليه سبعة أسطر من الكتابة بالخط الثلث نصها:

١) قد كان صاحب هذا القبر جوهرة.
٢) فريدة صاغها المولى من اللطف.
٣) عزه فلم تعلم الأيام قيمتها.
٤) فعادها غير باقية إلى الصدق.
٥) هذا قبر المرحوم السيد أحمد عبد.
٦) السلام توفى يوم الإثنين.
٧) ١٠ شعبان سنة ١٢٠٥هـ.

فى تواريخ لاحقة[١].

هذا وقد دفن بجوار قبر ابن العربى الحاج عبد السلام بن محمد والد المنشئ، يجاوره قبر المنشئ الحاج أحمد المتوفى سنة (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)[٢] يجاوره قبر السيد أحمد المحروقىالمتوفى سنة (١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م)[٣] الذى حل محل الحاج أحمد بن عبد السلام فى بيته فتزوج زوجاته، وأخذ أمواله، واحتل منصبه كشاهبندر للتجار، وقد درست معالم هذه الدار وبنى على مساحتها الآن مجموعة من العمائر الحديثة إلا أن منزل محمد المحروقى لا يزال باقياً منه الواجهة التى تجاور الجامع المذكور، كذلك فإن السيد محمد المحروقى قد دفن بالجامع أيضاً بجوار قبر أبيه بعد سنة (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م)[٤].

الوصف المعمارى

الواجهة الجنوبية الغربية : (ش٣٨)، لوحة ٤٣، ٤٤، ٤٥.

لهذا الجامع واجهة واحدة فقط هى الواجهة الجنوبية الغربية التى تشرف على الطريق (سكة الشرايبى) بعرض قدره (٧٠,١١م)، وهى تتكون من كتلة المدخل وباب الدخول إلى الميضأة.

أما كتلة المدخل فيبلغ عرضها (٤٠,٥م) وارتفاعها (١٠,٦م) (نفس ارتفاع الواجهة). يبدأ الجزء الأول منها من الجهة الشمالية الغربية بعرض قدره (٢م)، وارتفاع (١٠,٦م)، وهذا الجزء خالى من أية زخارف اللهم إلا فتحة نافذة عرضها (٩٠سم)، وارتفاعها (١٠,١م) تبتعد عن مستوى أرضية الواجهة بمقدار (٧٠,٣م)، وهذه النافذة عليها ساتر خشبى مخروط، وهى تطل على الضريح الخاص بالشيخ العربى وما جاوره من أضرحة.

يجاول هذا الجزء كتلة المدخل التى يبلغ عرضها (٥٠,٣م) وارتفاعها (١٠,٦م) محاطة بإطار حجرى عبارة عن جفت لاعب يحدد المدخل وعقده الثلاثى وينتهى عند قمة العقد بميمة مركبة تلتقى مع جفت المدخل المحدد لكوشتى العقد، يتوسط فتحة هذه الكتلة فتحة باب الدخول إلى الجامع وقد وضعت فى حجر عمقه (٦٣سم) على جانبيه مسطبتان أو مكسلتان

---

(١) من ذلك تجديد دورة المياه الذى قات به وزارة الأوقاف سنة (١٣٥٤هـ/١٩٣٧م). انظر: حسن قاسم: المزارات الإسلامية، جـ٥ ص١٦٠.

(٢) الجبرتى: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٢٦.

(٣) الجبرتى: المصدر نفسه، جـ٣، ص٤٧٠-٤٧٤.

(٤) وثيقة وقف محمد المحروقى/٩٠٢ أوقاف، سطر ٦٧.

ارتفاعهما (٣٠سم). أما فتحة الباب فهى مربعة عرضها (١٠ ,١م) وارتفاعها (٨٠ ,١م) يغلق عليها مصراعان من الخشب المزخرف بأسلوب "المفروكة" يعلو هذه الفتحة عقد مستقيم مزخرف بزخارف هندسية عبارة عن أشكال معينات متجاورة، يعلو هذا العتب نفيس مملوء بالبلاطات الخزفية المزدانة بعضها فى وسطها بفرع نباتى يخرج منه ثلاث أزهار على أرضية بيضاء، والأزهار باللون الأزرق ويحيط بذلك رسم دائرة، وفى البعض الآخر رسم لحزم نباتية تنتهى بأزهار القرنفل ونفذت باستعمال نفس الألوان، ومقاساتها (١٠×١٠سم) مما يشير إلى تأثرها بالبلاطات المغربية. يعلو هذا النفيس عقد عاتق (موتور) يزدان بزخارف هندسية يحدد ذلك جفت لاعب يبدأ من أسفل العقد المستقيم وينتهى أعلى العقد الموتور (العاتق). يعلو الجفت اللاعب ذا الميمات السداسية نافذة مستطيلة ارتفاعها (٨٠سم) وعرضها (٧٠سم). يغشيها ساتر من الخشب الخرط، وعلى جانبى هذه النافذة يوجد عمودان مدمجان يزدان كل منهما بزخارف هندسية دالية (انظر: لوحة٤٥)، شكل (٣٨)، وشكل (٤٠)، تنتهى هذه االنافذة بحطة من المقرنصات ذات البراقع المخرمة زخارفها على شكل ورقة نباتية، ودوائر مخرمة.

على جانبى هذه النافذة توجد مناطق مستطيلة مزخرفة بزخارف هندسية عبارة عن أشكال نجمية من خمسة رؤوس، ومسدسات متداخلة.

ينتهى الحجر الذى يضم هذا التكوين بعقد مدائنى مدبب شغل قوسية الجانبين بحنيتين صغيرتين يزخرفهما حطات من المقرنصات المسطحة غير البارزة، أما طاقية العقد فيزخرفها حطات أخرى تماثل السابقة وما بين حنيتى العقد توجد حنية أخرى معقودة يتوسطها زخرفة إشعاعية، ويزخرف كوشتى العقد المدائنى بلاطات خزفية كالتى تزين النفيس[١].

يجاور كتلة المدخل وعلى بعد (٧٠سم) باب الدخول إلى الميضأة. وهذا الباب مقنطر بعقد نصف دائرى[٢] طمر جزء منه فى باطن الأرض، ويعلوه الآن شباكان خشبيان يشرفان على

---

(١) صنعت هذه البلاطات الخزفية الجالية المغربية فى مصر خلال القرن ١٨م. انظر: ربيع حامد خليفة: البلاطات الخزفية على عمائر القاهرة العثمانية، مخطوط رسالة ماجيستير، كلية الآثار، ص١٥٥، ١٥٦، وفنون القاهرة فى العهد العثمانى، ص٤٨، ٥٠.

(٢) ذكر أ.د. الزميل محمد حمزة أن هذا العقد من النوع الموتور، ولكنه نصف دائرى، انظر: محمد حمزة: المرجع السابق، ص٦١٨، ومحمود خليل نايل، محمد أمين عبد القادر: تاريخ فن العمارة (جزآن)، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة ١٩٤٣م، جـ١، ص١٠٦، ١٠٧.

الميضأة، ويعلو الشباك الثانى شباك آخر عليه أرماح حديدية فى المستوى الثانى من البناء، يجاور الشباك الثانى الذى يعلو المدخل إلى الميضاة شباك آخر من الخشب غشى بعض أجنابه بالخشب الخرط.

يعلو هذه الشبابيك كابولان حجريان ضاعت معالم الطابق الذى كان يحملاه ومن المرجح أنه كان عبارة عن قاعة سكنية استغلها الشيخ المعين بالجامع لإلقاءالدرس، الخطبة وغير ذلك.

وصف الجامع من الداخل :

يؤدى الباب السابق وصفه إلى داخل الجامع، الذى يتكون تخطيطه من مساحة مستطيلة الشكل مقسمة إلى ثلاثة أروقة موازية لجدار القبلة بواسطة بائكتين كل بائكة مكونة من عمودين دائريين[1] بدون عقود تحملها حيث ينتهى العمود بطبان خشبى يحمل دعامة بنائية مستطيلة، وفوق هذه الدعامات يرتكز السقف الخشبى الذى يغطى مساحة الجامع، وترتبط الأعمدة ببعضها بواسطة روابط خشبية، وهذا التخطيط هو التخطيط الأصلى للجامع الذى شيده الحاج أحمد بن عبد السلام، غير أنه قد تعرض لبعض التجديدات التى كان من جراءها تجليد حوائط الجامع بالخشب، وكذلك المحراب، مع الاحتفاظ بالدخلات الحائطية التى ضمها وقت الإنشاء، ويمكن توضيح عدد هذه الدخلات من خلال وصف جدران الجامع.

١) **الجدار الجنوبى الشرقى** :

يتوسط هذا الجدار المحراب، وهو محراب مجدد بأكمله غير أن حنيته لازالت هى الحنية القديمة التى تنتهى بعقد مدبب ومن الخارج محاطة بعقد آخر مدبب كان يرتكز على عمودين (مفقودين الآن)، والمحراب مجلد بالخشب شأنه فى ذلك شأن بقية جدران الجامع، وقد كان يزخرف كوشتى العقد بلاطات خزفية من نفس نوع البلاطات السابق وصفها، وقوام زخرفتها أطباق نجمية وأشكل معينات محفورة داخل مناطق مربعة وزخارف نباتية محورة محصورة داخل مناطق بيضاوية مفصصة وذلك باللون الأزرق والأخضر والأصفر، كما استخدم اللون البنى الباهت فى تحديد الرسوم[2] غير أن هذه البلاطات مفقودة الآن بعد التجديد الأخير الذى تم بهذا الجامع.

---

(١) يحتفظ عمود واحد فقط بقاعدته المستديرة، كما يحتفظ عمود آخر بتاج ناقوس أو رومانى يخالف تيجان الأعمدة الأخرى.

(٢) ربيع حامد خليفة: البلاطات الخزفية، جـ٢، لوحة ١٢٩.

وتوجد على يسار المحراب دخلتان، وعلى يمينه دخلة واحدة يجاورها باب الدخول إلى الميضأة (المجدد بمعرفة وزارة الأوقاف سنة ١٩٣٥م).

٢) **الجدار الشمالى الغربى** :

هذا الجدار يتوسطه دخلة عميقة أقيمت فى المستوى العلوى منها دكة المبلغ والتى صنعت من الخشب وتشرف على الرواق الثالث بدرابزين خشبى من برامق خشبية صهريجية، يصعد إلى هذه الدكة من سلم خشبى طائر يرتكز على الحائط الشمالى الغربى[١].

ويسقف هذه الدخلة سقف خشبى من براطيم خشبية تحصر بينها بحور مستطيلة تحتفظ بزخارفها فى حالة جيدة[٢]، والتى تمثل نفس أسلوب الزخرفة المتبع فى سقف الجامع والذى سوف أشير إليه عند الحديث عنه فيما سيأتى.

٣) **الجدار الشمالى الشرقى** :

يتوسط هذا الجدار فتحة باب تؤدى إلى بعض ملحقات الجامع التى هدمت الآن، والتى كان منها "السكن" الذى لاتزال الكوابيل التى كانت تحمل مشربيته التى يشرف بها على الطريق موجودة حتى الآن، بالإضافة إلى أنه كان يؤدى أيضاً إلى بيوت الخلاء والميضأة. والراجح أنه كان يتوصل منه إلى سلم يؤدى إلى الطابق العلوى ويصل منه المتوضأ إلى داخل الجامع.

وعلى يمين هذا الباب توجد ثلاث خزانات حائطية يعلوها ثلاث أخرى، وعن يساره توجد خزانة واحدة (لحفظ بعض متعلقات الجامع)، يجاورها باب من مصراعين يؤدى إلى دهليز به قبرين[٣] يعلو هذا الباب شباك من الخشب الخرط يطل على الدهليز المذكور.

٤) **الجدار الجنوبى الغربى** :

هذا الجدار يشتمل على فتحة الباب المؤدى إلى داخله، ويعلو فتحة الباب شباك من الخشب الخرط (سبق وصفه) بالجهة الغربية من الباب، توجد أربع خزانات حائطية يعلو الخزانة الأولى المجاورة لباب الدخول شباك عليه ساتر من الخشب الخرط فتح فى الجزء المتقدم

---

(١) تتبعت فى الفصل السابق تطور هذا العنصر حتى نهاية العصر الجركسى، ثم انتشر فى العصر العثمانى انتشاراً كبيراً.

(٢) جانب أ.دز محمد حمزة اسماعيل الصواب فيما ذكره من: أن سقف هذه الدخلة خالى من الزخارف، والحقيقة غير ذلك، انظر: المرجع السابق، ص٦١٩.

(٣) إحداهما للشيخ المحروقى، والآخر لشيخ يعرف بالمرشدى، انظر: على مبارك: الخطط، جـ٣، ص١٨٨.

للمدخل والمجاور لبيت المحروقى، ويشرف على الشارع ليضيء داخل الجامع.

وبالركن الغربى للجامع يوجد ضريح الشيخ العربى[١]، وتحيط به مقصورة من الخشب حديثة الصنع يزخرف سقفها زخارف هندسية.

السقف : (ش٤١)، لوحات (٤٦، ٤٧)

لهذا الجامع سقف خشبى مقسم إلى براطيم تحصر بينها بحور مستطيلة، ويتوسط سقف الرواق الثالث أمام دكة المبلغ شخشيخة ترتفع عن السقف الأصلى للجامع، وقد فتحت بأضلاعها نوافذ الإضاءة والتهوية فى كل ضلع نافذتان، أما سقف الشخشيخة فهو سقف خشبى خال من الزخارف تماماً، وبه جزء متهدم يرجى الإسراع بإعادته إلى سابق عهده، أما دخلة الدكة فقد زخرف سقفها بنفس أسلوب زخرفة السقف كله، والتى هى عبارة عن زخارف نباتية من فروع ملتوية (أرابيسك) ورسوم فواكه، وأوراق وزهور، وذلك باللون الأحمر والبنى والأزرق ولمسات من اللون الأصفر والأخضر والأسود.

وقد كونت رسوم الأزهار والفواكه مجموعة (فازات) تحصرها الفروع النباتية الملتوية مع الخطوط الهندسية لتكون مناطق متماثلة شبه هندسية متقابلة ومتعاكسة[٢].

العناصر المعمارية والزخرفية :

تبقى من عناصر الجامع المعمارية كتلة المدخل الرئيسى والمدخل إلى الميضأة، وقد ضم هذا الجزء من الجامع العناصر المعمارية الآتية المتمثلة فى العقود (موتور – نصف دائرى – مدائنى– مستقيم).

أما داخل الجامع فقد احتفظ بتخطيطه الأصلى القائم على مساحة مستطيلة مقسمة إلى ثلاثة أروقة بواسطة صفين من الأعمدة، وقد اشتمل هذا الجزء على –التخطيط العام للجامع– الأعمدة (دورية رومانية)، ويمكن تناول هذه العناصر فى ضوء التقسيم التالى: عناصر الواجهة – العناصر الداخلية – الزخارف (هندسية – نباتية) التى وجدت ضمن عناصر الواجهة والعناصر الداخلية.

---

(١) يذكر شيخ الجامع (الشيخ جمال) أن هذا القبر كان يتوسط الجامع غير أنه نقل فى هذه الجهة بعد أن تم ردم الجامع نتيجة تأثير المياه الحوفية.

(٢) هذا التكوين الزخرفى متأثر بالأساليب الزخرفية الأوروبية التى بدأت تنتشر فى نهاية القرن ١٨م. انظر:
Briggs (M.S), Muhammadan Architecture In Egypt & Palastine, Oxford, 1927, P, 144.

أولاً) عناصر الواجهة المعمارية :

كتلة المدخل: تناولت بالدراسة فى الفصل السابق آخر ما وصل إليه تطور المداخل فى العصر المملوكى الجركسى الذى يمثل نهايته مدخل مدرسة الأمير بيبرس الخياط. الذى يمتاز بثراءه بالمقرنصات التى يرتكز عليها العقد، أما فى العصر العثمانى فقد وجد نوع من المداخل خالى تماماً من المقرنصات ونوع آخر يماثل المداخل المملوكية، مما يعد معه استمرار للعناصر المحلية التى سادت العمائر فى العصر العثمانى.

وهذا النوع الأخير من المداخل يمثله مدخل جامع المغربى (ابن العربى)، ومن قبل وجد فى مدخل مسجد محب الدين بالخرنفش (٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م)، ومدخل مسجد المحمودية (٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م)، ومدخل مسجد مراد باشا بالموسكى (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)، والذى تميز باشتماله على مدخلين أحدهما يمتاز بثراءه بالمقرنصات وهو الجنوبى الغربى، أما الآخر فلا يحتوى على أية مقرنصات (شمالى شرقى)[١].

كذلك نراه فى مدخل جامع البردينى (١٠٢٠-١٠٣٨هـ/ ١٦١١-١٦٢٩م)[٢]، ومسجد يوسف أغا الحين (١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م)[٣]، وفى مسجد مدخل الخلوتى (دارس الآن) (١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م)[٤]، ومدخل جامع أحمد العريان (١١٤٨هـ/ ١٧٧٠م)[٥]، ومدخل جامع محمد بك أبى الذهب (١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م)[٦]، ثم فى مدخل هذا الداخل (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، غير أن هذا المدخل قد تميز باستبدال المقرنصات بحنيتين ركنيتين، تحتوى كل واحدة على عدد من المقرنصات غير المجوفة، تحصر بينها طاقة معقودة بداخلها زخرفة إشعاعية يرتكز عليها العقد المدائنى.

كما اشتملت كتلة المدخل على عدد من العقود منها: العقد المستقيم، والعاتق والمدائنى. **وهى عقود سبق تناولها فى الفصول السابقة ووجودها فى هذا الأثر، يشير إلى استمرارها فى عمائر ذلك العصر تؤدى نفس الوظائف السابقة.**

---

(١) محمد الجهينى: المرجع السابق، ص٢٠٧.

(2) Briggs (M.S), Op,cit. P, 143-144.

(٣) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جـ٢، ص١٥١، لوحة ٣٢٦.

(٤) المرجع نفسه: جـ٢، ص١٥٧، لوحة ٢٤٨.

(٥) محمد الجهينى: المرجع نفسه، ص٢٠٧.

(٦) حسن عبد الوهاب: المرجع نفسه، جـ٢، ص١٥٨، لوحة ٢٥٠.

مدخل الميضأة :

هذا النوع من المداخل وجد قبل ذلك فى جامع أحمد العريان بباب البحر[1] (١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م) بالواجهة الرئيسية.

ومنه كان يتم الوصول إلى الميضأة التى يفتح عليها باب آخر يتم الوصول منه إلى داخل الجامع، وعلى ذلك فإن وجود المدخل إلى الميضأة بالواجهة الرئيسية قد ساعد على ضرورة التطهر قبل الدخول للجامع، وكذلك قضاء حاجة عابرى السبيل فى غير أوقات الصلاة رغبة من المنشئ فى الجزاء الأوفى من الله. وهذا المدخل له عقد نصف دائرى، لازال يحتفظ بشكله بعد أن طمر جزء كبير من المدخل.

وهذا النوع من العقود انتشر فى العمارة الإسلامية فى جميع العصور والأقطار، كما كان منتشراً فى جميع الطرز المعمارية فى العالم القديم والوسيط والحديث، وفى الشرق والغرب.

ويوجد أقدم مثل للعقد نصف الدائرى فى أقدم أثر إسلامى قائم فى قبة الصخرة، ثم تتابع استعماله بغير انقطاع بعد ذلك[2].

ثانياً: العناصر المعمارية الداخلية :

أ) التخطيط العام :

يقوم تخطيط هذا الجامع على مساحة مستطيلة مقسمة إلى ثلاث بائكات موازية لجدار القبلة يغطيها جميعها سقف خشبى مسطح يتوسط الرواق الثالث-البائكة الثالثة- فى السقف شخشيخة تتقدم دكة المبلغ، وهذا النظام عرفته العمارة الإسلامية فى مصر خلال العصر المملوكى، فقد شهد حى باب البحر مولد أول نمط لهذا الطراز فى زاوية الأبناسى المؤرخة (٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م)، والتى خطأ الآن بجامع على الفرا، أى أن هذا التخطيط يعود للسنوات الأولى من عصر المماليك الجراكسة[3]، ورغم التجديدات العديدة التى عرضت لها الزاوية إلا أن التخطيط لازال كما هو، وفقاً لما ذكرته الوثيقة.

---

(١) محمد الجهينى: المرجع السابق، ص٢٠٧- ٢٠٨.

(٢) فريد شافعى: المرجع السابق، ص٢٠٣، وكمال سامح: العمارة الإسلامية، ص٨٠.

(٣) هناك من يقول: إن هذا النمط عرف أولاً فى المدرسة الطيبرسية بالأزهر المؤرخة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، غير أن التخطيط الذى عليه هذه المدرسة الآن من إنشاء عبد الرحمن كتخذا الذى جدد المدرسة مع تغير تخطيطها. انظر: الجبرتى: المصدر السابق، جـ٢، ص٦، ومحمد حمزة إسماعيل: المرجع السابق، ص٦٨٩؛ محمد الجهينى: المرجع السابق، ص٢٢٣.

وقد سار تخطيط جامع برسباى بالصحراء (٨٣٥هـ/ ١٤٣١م) على نفس هذا التخطيط، ثم من بعده جامع سيدى مدين (٨٤٢-٨٤٣هـ/ ١٤٣٩،١٤٣٨م) بباب البحر[١]، ثم جامع جانم البهلوان[٢] (٨٨٣-٩١٦هـ/ ١٤٧٨-١٥٦٨م) بالسروجية، ثم انتشر بعد ذلك فى منشآت العصر العثمانى الدينية انتشاراً كبيراً، حيث يبلغ عدد العمائر الباقية المشيدة وفق هذا الطراز أحد عشر جامعاً[٣] منها جامع مراد باشا (٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م)، وجامع مرزوق الأحمدى (١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م)، وجامع الشواذلية (١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م)[٤]، وجامع المغربى (ابن العربى) (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) وغيرها.

ب- الأعمدة :

يتمثل التأثير الغربى الكلاسيكى فى شكل تيجان أعمدة البائكات الخاصة بأروقة الجامع، والذى بدأ ينتشر خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، وقد انحصرت أشكال هذه التيجان فى التاج الناقوسى والتاج الدورى.

أما التاج الناقوسى فقد سبق تناوله فى الفصل السابق. وبقى أن أشير إلى التاج الدورى الذى وجد منه داخل هذا الجامع ثلاثة أعمدة، كل عمود ذو بدن إسطوانى وتيجان دورية، وقد استعملت هذه الأعمدة فى الجزء الخلفى لرواق القبة الذى أضافه عبد الرحمن كتخذا للجامع الأزهر، وكذلك استعملت فى سبيل النحاسين المنسوب إليه، كما استعملت أيضاً فى مسجد محمد على بالقلعة[٥].

بجانب ذلك نجد أن أبدان الأعمدة التى على جانبى النافذة التى تعلو العقد العاتق بالمدخل الرئيسى قد زخرفت بزخارف دالية وصنعت لها تيجان ناقوسية.

ثالثاً) الزخارف :

تنقسم الزخارف داخل هذا الجامع إلى نوعين: الأول نباتى، والثانى هندسى.

---

(١) محمد الجهينى: المرجع السابق، ص١٦٣- ١٩٠.

(2) Williams (J.A), The Monements Of Otton Cairo The International Sur L`hitoire Du Caire 1969, P,455.

(٣) محمد حمزة إسماعيل: المرجع السابق، ص٦٨٧.

(٤) المرجع نفسه: ص٦٨٧.

(٥) كمال سامح: المرجع السابق، ص٨٠.

أ) الزخارف النباتية :

وزعت هذه الزخارف على البلاطات الخزفية التى تزين نفيس المدخل، وكذلك تلك التى تزين كوشتى عقد المدخل، والتى كانت عبارة عن فرع نباتى يخرج منه رسم لثلاث زهرات بألوان متعددة منها: اللون الأزرق على أرضية بيضاء مع استعمال اللون الأخضر، والأصفر والبنى يحيط بذلك رسم لدائرة بالفروع النباتية.

كما استعملت الفروع النباتية الملتوية، والأوراق، والفواكه على هيئة مجموعات تحصرها وتحيط بها الفروع النباتية، بحيث تكون مناطق هندسية تزخرف سقف الجامع، وهذه التكوينات الزخرفية المنفذة فى سقف الجامع متأثرة بالأساليب الأوروبية التى بدأت تنتشر منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى[1].

ب) الزخارف الهندسية :

نفذت على واجهة هذا الجامع العديد من العناصر الهندسية منها: الأشكال المسدسة، والمستطيلات، والمربعات، والدوائر، وهذه العناصر الهندسية نفذت على الواجهة على جانبى النافذة التى تعلو العقد العاتق للمدخل، وكذلك فى الميمات المسدسة التى يكونها الجفت الذى يؤطر المدخل، وكذلك فى رسم الدوائر على البلاطات الخزفية وفى الميمة الدائرية أعلى المدخل (قمة العقد).

وهذه الزخارف لم تكن وليدة الفكر الإسلامى، وإنما عرفت فى عصور سابقة[2]، وأخذها المسامون ووصلوا بها إلى درجة كبيرة من الإتقان والتكوين الرائع، وكان السبب فى ذلك إعراض المسلمين عن محاكاة الطابيعة محاكاة صادقة بجانب مهاراتهم فى الهندسة العلمية، مما كان له أثره فى خروج هذه الزخارف، وقد اتسمت بالإتقان والروعة.

وبعد فإن دراسة هذا الأثر قد أسفرت عن هذه النتائج :

١) تأريخ الأثر تأريخاً جديداً ليصبح من آثار سنة (١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) بدلاً من التأريخ غير المحدد الذى وضعته هيئة الآثار. ومن سار وراءها من الباحثين المحدثين وهو قبل (١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م).

---

(1) Briggs (M.S), Op.cit. P,144.

(٢) فريد شافعى: المرجع السابق، ص٢١٩.

٢) التوصل إلى اسم المنشئ الفعلى لهذا الأثر خلال هذا التاريخ وهو السيد أحمد بن عبد السلام المغربى، بدلاً من اسم الشيخ على بن العربى الذى يعود إليه تجديد الأثر قبل هدمه على يد السيد أحمد المغربى.

٣) ضم الجامع ضمن واجهته مدخلاً خاصاً يؤدى إلى الميضأة. وهو بذلك يعد المثل الثانى الذى وضح فيه هذا العنصر خلال هذا العصر.

٤) خلا الجامع من الدركاة التى تربط بين المدخل وداخل الجامع.

٥) وضح فى زخارف الجامع المنفذة على البلاطات الأسلوب المغربى الذى يقوم على محاكاة زخارف البلاطات الخزفية التركية بأسلوب ضعيف وألوان رديئة، مع استخدام الرسوم الهندسية، وكذلك فى استعمال البلاطات الصغيرة مقاس (١٠×١٠سم).

٦) تأثرتا زخارف السقف بالأساليب الأوروبية التى بدأت فى الظهور منذ أواخر القرن (١٨م).

٧) أكد البحث ارتباط سقف دخلة دكة المبلغ من حيث زخارفه ووجودها به بسقف الجامع بعكس ما ذكرته بعض الأبحاث التى تناولت هذا الجامع حديثاً.

** ** ** **